

مكتبة القرآن

# المقدمة الغامضة





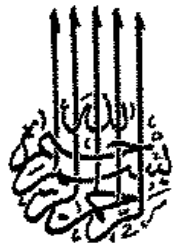
مكتبة محمد عبد السلام

# المُرُورَةُ الفَاجِيَةُ

مكتبة القرآن

للطبع والنشر والنويع  
٣ شارع القماش بالفرنساوى - بولاق  
القاهرة - ت ٧٦١٩٦٢ - ٧٦٨٥٩١

جميع الحقوق محفوظة  
مكتبة القرآن







بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## السؤال المحير !!

رأيت فيما يرى النائم أن ساعى البريد طرق بابى ويبيده رسائل ضلت طريقها الى أصحابها « ولم يستدل لهم على عنوان ! » ولقد أفرد « سبعا » منها داخل لفافة كبيرة وراح يسألنى عن صاحبها قائلاً :

« أتعرف المروءة ؟ ! »

وحررت فى أمرى !! ماذا أقول له ؟

أقول كنت أعرفها ، ولكنها فى السنوات الأخيرة حزمت أمتعتها وقالت : « إنى راحلة » وخرجت ذات يوم ولم تعد عندما لم يعجبها الحال المائل !! أم أقول إننى لا أعرفها !!

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يَسْمُرْ بمكسة سامر !! وكأنما أدرك « ساعى البريد » حيرتى !! ، وما أعانيه من غيابها فى شيخونحتى !! فقال على الفور : « لا عليك ... » خذ هذه الرسائل ، وتول عنى أمر تسليمها الى صاحبها فقد كنت لها ذات يوم أهلاً كما أخبرنى سكان الحى !

وأفقت على قول ساعى البريد :

« لقد كنت لها ذات يوم أهلاً !! »

وتراءت لعيني صور الماضي منذ أكثر من نصف قرن ، حيث كانت طفولتنا في القرية المصرية يباركها الآباء والجدود ، ويهتفون من أعماقهم « عاشت المروءة يا شباب » !! ولم كان يسعدنا أن نخلو حياو شباب القرية .. نترسم خطاهم .. في كل صور المروءة ومظاهرها الصادقة !! فلقد كان يعجبنا فيهم تلك المبادرات المشكورة عندما يشب حريق أو يتعالى صوت غريق ، أو يقبل وقت البذار والغراس أو الجنى والحصاد ، أو تدعو الحاجة الى إقامة جسر أو ردم برك .. أو بناء بيت .. تراهم هناك يذلون من ذات أنفسهم .. يذرون الحَبَّ ويتظرون الثمار من الرب .. يعاونون ويساعدون على بركة الله .. وعيون الكبار عليهم مفتوحة .. والدعوات الحلوة تبارك خطاهم ، وكلمات التشجيع تملأ نفوسهم بالثقة والارتياح .. « في أمان الله » ... « على بركة الله » « أول همة يا شباب » « نصحبكم السلامة » .. « عاشت المروءة » .

ولم كان يخلو لنا — نحن الصغار — آنذاك أن نندس بين الشباب لنصبح شبابا قبل الأوان !! فيالها من سعادة غامرة تلك التي كنا نستشعرها في أعماقنا حين نسهم معهم بشيء .. وكنا نعود وفي آذاننا أصدااء تلك الكلمات الحلوة وكأنما لنا شوية منها !! والحق أن كبار القرية كانوا يتعهدون شبابها ، ويتابعونهم في شتى المواقف والمشاهد ، فلا يمرون عليهم في موقف من تلك المواقف إلا ويتساءلون :

### « ابن من هذا ؟ »

ثم يعلقون على مسمع ومرأى من الجميع : « بارك الله فيه » نعم « الولد سر أبيه » .. « من شابه أبه فما ظلم » .. كان ذلك بالضبط « عملية تقييم » تقوم بها « لجنة تحكيم » على أعلى مستوى في القرية نصبت نفسها بحكم واجبها ومسئوليتها وكان الآباء والأمهات ينتظرون قرارها بل ويعملون لهذا القرار ألف حساب !! ويظل أهل القرية يتناقلون تلك الأحكام حتى تبلغ مسامع الآباء والأمهات ، وعندئذ فقط يعرفون أنهم قد أنجبوا .. أو لم ينجبوا !! وكنا — نحن الأبناء — حريصين على هذه المنزلة .. لا نفرط فيها .. بل ننميتها .. فياويل من



رسب في أعين القرية .. فافتقد الهمة والعزيمة و تجرد من الشهامة والمروءة .. بل  
يا خزي أبويه !!

فإذا تخاذل أحدهم عن أداء واجب ، أو تراخى عن النجدة سمع نساء الحى  
يقلن له : أليس عندك مروءة ؟ أليس عندك شهامة ؟ ألا تعرف الواجب ؟ !  
كيف نقابل الناس ؟ وبأى وجه ؟ وماذا نقول لهم ؟ ! فمن فقد مروءته يسقط في  
أعين الناس ويُسقطونه من حسابهم ويتبرأ منه الأهل ، ويصبح غريبا .. لا يجالسه  
شباب القرية ولا يماشونه !! أليس فاقد الهمة ؟ ! أليس ضعيف العزيمة ؟ ! أليس  
ناقص المروءة والشهامة والرجولة ؟ ! فيالها من مدرسة فريدة تلك التى يتخرج  
فيها أبناء المروءة وأهلها !! لقد كان أهلونا ينشدون « كمال الانسانية » وكان لهم  
ما أرادوا .... وكبرنا وكبرت معنا تلك العادات التى تلقيناها عن الكبار فى القرية  
ونمت فينا تلك القيم التى غرسها أهلونا وسهروا على رعايتها وحمايتها . « فى  
مدرسة المروءة » .

حتى اذا انتقلنا الى المدينة لطلب العلم فى الثلاثينيات رحنا نتصرف على  
طبيعتنا وفطرتنا وسجيتنا .. فقد همسوا فى آذاننا قبل أن نودع القرية لطلب  
العلم :

## « أن الأدب فضّلوه على العلم »

وتمر الأيام ، وتجذبنا المدينة ، وتشدنا إليها .. وتطول رحلتنا فى طلب العلم ..  
ونعود إلى القرية بعد رحلتنا .. فإذا هى قد تخلت عن ملامحها وقيمها ... وراحت  
تلتقى مع المدينة فى منتصف الطريق .. وزحف أبنائها الى المدينة .. وزحفت  
المدينة عليها فتلاقيا .. وتشابها فتشاكل الأمر ، فإذا هى غريبة الوجه واليد  
واللسان .. لقد أنكرناها حين عدنا .. بل أنكرتنا .. ووجدنا أنفسنا فى قريتنا بعد  
أن خلعنا جذورنا منها ... كالغرباء !! ورحنا نبحث عن المروءة ... لقد أصبحت  
فى خبر كان وعرجنا على « أهل المروءة » من الآباء والاجداد نزور قبورهم وتترحم  
على أرواحهم .. وعدنا وفى آذاننا أصدااء كلماتهم الأولى :

عاشت المروءة .. عاشت الشهامة .. عاشت الهمة نعم عدنا بقلوب جريحة .. وبنفوس كسيرة الى المدينة لنجد الآباء والمربين يدقون ناقوس الخطر .. ويلتمسون انتقاد الأبناء والبنات مما يهددهم من أخلاقيات وافدة !! وتمر الأيام والأعوام ، ويتم تعديل المناهج أو تغييرها وتستبدل نظريات التربية بأخرى ، وتُجرى تجارب في مجال إعداد الشباب وتربيته ، وبذل الجهد لتكوين قيم إيجابية مرغوبة يمكن أن تُكوّن الانسان القادر على المشاركة الفعالة رغبة في حياة أفضل ، ومستقبل أجمل !!

ومع أن إعداد الشباب لم يشغل الأذهان كما يشغلها الآن حيث أصبح مجال بحث دائب من علماء النفس ، ورجال التربية وغيرهم من رواد الفكر والسياسة والاجتماع ، إلا أنهم بعد هذا الشوط الطويل الذي قطعوه ، ومع التدرج في « السلم التعليمي » الذي صعدوه راحوا يفتقدون قيمة عزيزة عليهم ، غابت وطال غيابها في ظل تلك « النظريات المستوردة » فتركت فراغا لم تستطع تجاربهم ونظرياتهم أن تسده .. وكأني بهم بعد هذه الرحلة الطويلة يتساءلون — أين المروءة ؟ وهل فيكم من يعرفها ؟ إنهم يريدون أن يعود أبنائنا الى قيمنا وآدابنا الإسلامية يريدون أن يرتفع في أعماقنا ببيان الإنسان الذي مهدم ، ويحيا في داخلنا الإنسان الذي تحطم .

يريدون أن تعود المروءة الغائبة الى كل بيت فيصبح كل منا نحن الكبار أبا للمروءة بعد أن كان أبا لها يريدون أن نلتقى حول رايها في مدارسنا ومعاهدنا ودواويننا وأنديتنا وشوارعنا .. ومتاجرنا وأسواقنا ومواصلتنا وملاهيها حتى يفهم المسلم ذاته ، ويوفق في فهمه لإسلامه وقيمه ، وتوظيف طاقاته وقدراته في خدمة الدين ومتطلبات أمتنا الاسلامية على أن تتعاون كل الأجهزة التي يهجمها الأمر بتقديم السلوك السوي والقنوة الحسنة ، والنموذج الصالح للمحاكاة والتقليد « وكأنهم مدرسة للمروءة » .

والأمر جدير بالاعداد والاستعداد كما يقول شيخ الأزهر السابق محمد الحضر حسين في إحدى رسائله الاصلاحية عن المروءة : « وتنظم المروءة

أخلاقاً سنية ، وآدباً مضيئة .. ورسوخ هذه الأخلاق والآداب في النفس ،  
يحتاج الى صبر ومجاهدة ، ودقة ملاحظة ، وسلامة ذوق .

فحقيق بنا أن نرى أبناءنا على رعايتنا ، منذ عهد التمييز ، حتى لا تسبق إليهم  
أخلاق غير نقية ، وعادات غير رضية ، فتحول بينهم وبين الفضائل ، فلا تجد  
المروءة الى نفوسهم مدخلا :

إذا المرء أعتبه المروءة ناشئاً فمطلبها كهلا عليه عسير  
نرى أبناءنا على ما يثبت قواعد المروءة ، ويرفع بناءها ، ليحملوا أبوتنا ،  
ويكونوا قرّة أعين لنا ، وأسوة حسنة لأحفادنا ، وزينة لأوطاننا .

وليفوزوا بالعزة في الدنيا والسعادة في الآخرة « وعند ذلك لا نجد من  
يسأل ذلك السؤال المحير :

## هل تعرف المروءة !!؟

ويصبح كل بيت من بيوتنا عنواناً لها ، فلا تضل رسائلها طريقها !!

لقد كانت بيوتنا — فيما مضى — عنواناً للمروءة .. وعلى أرض الاسلام  
الواسعة الممتدة كنت تجد أهلها أنى اتجهت وحيثما سرت ولا أجد على شفقتي ما  
أتحدث به عن « مروءة بلاد الإسلام » خيراً من تلك الكلمات التي قالها  
« وحيد الدين خان » في كتابه البعث الاسلامي : « إن هؤلاء الذين نشئوا في  
جزيرة العرب ، وشبوا في الكثبان الرملية ، والصحارى القاحلة الجذباء ،  
كانوا يمتعون بميزات يمكن تلخيصها في كلمة واحدة هي  
« المروءة »

ومعنى المروءة الشهامة والرجولة ، وهي كلمة كانت تستعمل لظهار  
جوهر الانسانية عند العرب .

يقول شاعرهم :

إذا المرء أعتبه المروءة ناشئاً فمطلبها — كهلا — عليه شديد

م يمون : وقد درس المؤرخ « فيليب حتى » تاريخ العرب دراسة مستفيضة  
ومن حصاد دراسته يقول : « إن القوم الذين أُخرجوا إلى الوجود في هذه  
القرون كانوا قوماً عجباً من أقوام هذه الدنيا ، وكانوا يتسمون بالميزات  
والمواهب التي من أهمها :

الهمة والصبر والمثابرة والجلد ومراعاة حقوق الجيران والرجولة والشهامة  
والسخاء ، وقرى الضيف<sup>(١)</sup> واحترام النساء والوفاء بالوعد .

تُرى أين نحن الآن من تلك السمات ؟ سمات أمتنا .. روح وجودنا ..  
وسر تقدمنا وعنوان إسلامنا ؟ ! « المروءة !! » وهل لنا .. ولها من عودة ؟  
من أجل أبنائنا وبناتنا .. وأجيال جاءت في غيبتها لعل وعسى !! ومن  
يدرى ؟ !

فقد يجمع الله بين الشيتين بعدما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

إن هذا الوضع الأخلاقي المتردى — في غيبة المروءة — ينذر بمزيد من  
الخطر ، ويهدد بالانهيار والدمار !! ولقد تصدى شاعر النيل حافظ إبراهيم لهذه  
الظاهرة منذ سنوات وسنوات فشخص الداء ، ووصف الدواء !! فهل يعود  
إلى قلوبنا الأمل والرجاء ؟ !! لن أقول ما قاله الكواكبي يائسا :

تعب الفيلسوف في الناس عصرا وتولى السرائر الدينُ دهرأ فمن يسمع ؟ ومن  
يقراً ؟ .

ولكني أردد مع حافظ إبراهيم :

إني لتطربنسى الخلال كريمة طرب الغريب بأوسية وتلاقى  
وتهزنى ذكرى المروءة والندى بين الشمائل هزة المشتاق  
فتعال إلى محراب الشعر الأخلاق بين يدي شاعر النيل في ذكرى « المروءة  
والندى » لنعرف كم يجنى فاقدو المروءة على مجتمعاتهم ؟ وما علة تلك النكسة  
التي نعيشها ؟ وهذا الاخفاق الذي نجره صباحا ومساء ؟ !!

(١) القرى بكسر القاف ما يقدم للضيف من طعام .

## في ذكرى المروءة !!

إني لَنَطْرُئِي الخِلالَ كَرِماً  
طَرَبَ الغَرِيبِ بأوِيَّةِ وِثاقِي  
وَتَهْزُنِي ذِكْرِي المِروءةِ والنَّدَى  
بِينَ الشَّمَائِلِ هَزَّةَ المِشْتاقِ

شاعر السيل  
حافظ ابراهيم  
م ١٩١٠



## الداءُ والدواء

في ذلك الحفل الذي أقيم ببورسعيد عام ١٩١٠ لاعانة مدرسة للبنات وقف شاعر النيل حافظ ابراهيم ينشد قصيدته التي وضع فيها النقط على الحروف .. شخص الداء ووصف لنا الدواء عندما راح يُنشد :

إني لتطربني الحلال كريمة      طرب الغريب بأوبية وتلاق  
وتهزني ذكرى المروعة والنسدى      بين الشمائل هزة المشتتاق  
فاذا رزقت خليقة محمودة      فقد اصطفاك مقسم الأرزاق<sup>(١)</sup>  
فالناس هذا حظُّه مأل ، وذا      علم وذاك مكسب الأخرلاق  
والمأل إن لم تدخره مُحصناً      بالعلم كان نهاية الإملاق<sup>(٢)</sup>  
والعلم إن لم تكتفه شمائل      ثعليه كان مطية الإخفاق<sup>(٣)</sup>  
لا تحسبن العلم ينفخ وحده      ما لم يُسوّج ربه بخلاق<sup>(٤)</sup>  
كم عالم مد العلوم حائلاً      لوقعية وقطيعية وفراق<sup>(٥)</sup>  
وقبيله قوم ظل يرصد فقهمه      لكيذة أو مستحل طلاق<sup>(٦)</sup>  
يدعونه عند الشقاق ومادروا      أن الذي يدعون خذن شقاق<sup>(٧)</sup>  
وطبيب قوم قد أحل لطبه      مالا يُجمل شريعة الخلاق ا

(١) الخليقة : السجية والطبيعة .

(٢) الإملاق : الفقر .

(٣) تكتفه : أى تحوطه وتحفظه . والشمائل : الأخلاق جمع شمال . والإخفاق : خيبة المسمى .

(٤) الخلاق : النصيب من الصلاح والخير .

(٥) حائل الصيد : الشباك والأشراك التي يمدها الصائد للاصطياد الواحدة : حباله . الوقية : غيبة

الناس . القطيعة هى قطع الصلات بين الناس بما يمارسه من سحر وتأملم .

(٦) يرصد فقه : يعده ويبيته .

(٧) الخذن : الصاحب والصديق . والشقاق : الخلاف ويريد هنا الخلاف بين الزوجين .

قتل الأجيّة في البطون وتارة  
أغلى وأثمن من تجارب علمه  
ومهندس للنيل بات بكفه  
تشدى وتيس للخلائق كفه  
لا شيء يلوى من هواه فحده  
وأديب قوم تستحق يمئته  
يلهو ويلعب بالعقول بيأته  
في كفه قلم يمج لعابسه  
يرد الحقائق وهي بيض تُصع  
فيردها سوداً على جنباتها  
عريث عن الحق المطلهر نفسه  
لو كان ذا تخليق لأسعد قومه

وبعد أن يذكر ما يعانيه شرقنا من إخفاق أسهم فيه كل من العالم ،  
والفقيه ، والطبيب ، والمهندس ، والأديب راح يحدثنا عن علة ذلك الاخفاق  
فيقول :

من لي بتربية البنساء فإنها  
الأم مدرسة إذا أعددتها  
أعددت شعباً طيب الأعراق<sup>(١٦)</sup>  
الأم روض إن تعهده الحيا  
بالرّي أورق أيما إيراقي<sup>(١٧)</sup>

(٨) المهراق : المنصب .

(٩) المطراق : الذي يكثر طرق أبواب الرزق بحثاً عن لقمة العيش .

(١٠) تشدى : تبتل . والمراد فيضان يده بالماء . والأصفر البراق الذهب ويقصد الرشوة .

(١١) يلوى من هواه : يمجسه . حده في السلب أي جزاؤه على الرشوة . وخذ السارق : قطع اليد .

(١٢) مَجَّ اللعاب من فمه : رمى به . واللعاب الريق . شبه المداد به وينفته : يخرجه .

(١٣) التُّصع : الشديدة البياض . ويريد يقوله «علوية الإشراق» أن نورها من السماء .

(١٤) المقصود أن الكاتب يزيغ الحقائق فيختلط الأمر على الناس ويحتفى وجه الحق .

(١٥) الإخفاق : عدم الظفر بالمطلوب .

(١٦) الأعراق : الأصول : الواحد عرق .

(١٧) الحيا : المطر .



الأم أستاذة الأساتذة الأولى شغلت ما أثرهم مدى الآفاق<sup>(١٨)</sup>  
وعليكم أن تستبين بناتكم نور الهدى وعلى الحياء الباق  
وأراك — معي — قد أخذتك النخوة في رحلة البحث عن « المروءة »  
ورحت تسألني : أين هي الرسائل السبع ؟ وكيف الطريق إلى المروءة ؟  
وأخذت تقول : إننى على أتم استعداد لكى أصحبك في رحلة البحث عنها  
بعد أن تُعدّ رسائل الشوق إليها من هنا وهناك ، فلن يهدأ لنا بال ، ولن ينصلح  
لنا حال إلا في وجودها ، فهل آن الأوان لكى نبدأ ؟

فليطمئن قلبك يا صديقى فقد هدانى الله سبحانه بعد رحلة بحث طال في  
تراثنا العربى : قديمه وحديثه .. شرقية وغربية إلى تلك « الرسائل السبع »  
عشت فيها مع « ابن جناح » ومع « ابن جبان » ومع « الماوردى » ومع  
« المحصرى » ومع « الطهطاوى » ومع العلامة : « أحمد أمين » وصاحب  
الفضيلة « الخضر حسين » وهأنذا قررت أن أتوجه إليها ، ومعى أحلى وأجمل  
ما قيل عنها ... وكأنى أهتف .. وجدتها .. وجدتها ... وجدتها .. ولسان  
حالى يقول : هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربي حقا !! فتعالى معى  
تقرضاها ونستعجبها حتى ترضى !!



---

(١٨) شغلت: الخ أى ملأت أعمالهم الباقية أنحاء الدنيا .



اليها ..

الى المرءة الغائبة !!

هل تسمحين لى أن أتحدث فى حضرتك ؟ !  
وهل يشفع لى أنى أحد الذين تعلقوا بك فى صباحهم  
ولكنه وقد تغير حاله من بعد قوة ضعفا وشيبة راح  
يعالى من جراء غيبتك !!  
وهأنذا أحمل إليك ما تجمع فى صندوق من رسائل  
البلغاء ، والعلماء ، والمحدثين ، والفقهاء ،  
والشعراء من كل ديار الاسلام وعلى مر السنين  
والأعوام فهل نطمع فى عودتك ؟ !

محمد ابراهيم سليم



## الرسالة الأولى

كتاب الأدب والمروءة

إليها .. الى المروءة  
التي توارث بالحجاب ، ولم تعد الينا بعد طول  
غياب معتقدة أن أهلها دون خلق الله ماتوا .. !!  
تفضلي .. هذه الرسالة من رسائل البلغاء  
لصالح بن جناح الدمشقي وكفى عن البكاء ، وكفكفى  
دمعك الممزوج بالدماء !! وتعالى نفتح صفحة  
جديدة بيضاء .. فهناك قلوب مازالت خضراء ،  
ونفوس صافية لم ينقطع منها الأمل والرجاء أن  
تعودى إليهم وتملئ حياتهم بالنور والضياء !!

للحكيم صالح بن جناح اللخمي الدمشقي



## أضواء على حياة صاحب الرسالة

صالح بن جناح اللخمي الشاعر أحد الحكماء .  
حكى عنه أبو عثمان الجاحظ من أدرك الأتباع بلاشك ، وكلامه مستفاد في  
الحكمة ، وقد أخذ عنه بنيسابور .

قال الجاحظ :

قال صالح بن جناح لابنه :

« يا بني ، إذا مر بك يوم وليلة قد سلم فيها دينك وجسمك ومالك ،  
فأكثر الشكر لله تعالى ا فكم من مسلوب دينه ، ومتزوع مُلكه ، ومهتوك  
سِتْره ، ومقصوم ظهره في ذلك اليوم وأنت في عافية !!  
وفيه أقول :

لو أنسى أعطيتك سُؤلي لما سألتك إلا العفو والعافية  
فكم فتى قد بات في نعمةٍ فسئل<sup>(١٩)</sup> منها الليلة الثانية  
وقال : أصل المروءة الحزم ، وثمرها الظفر .

إذا طلب رجلان أمراً ظفر به أعظمهما مروءةً وقال :

« اعلم أن من الناس من يجهل إذا حلمت عنه ، ويحلم إذا جهلت عليه ،  
ويُحسِنُ إذا أسأت به ، ويسئ إذا أحسنت إليه ، ويُنصفُك إذا ظلمته ،  
ويظلمك إذا أنصفته ، فمن كان هذا مُخلقه ، فلا بد من خلق ينصفُك من  
تُخلقه ، ثم قِحةٌ تنصف من قِحته ، وجهالةٌ تقدح من جهالته ، وإلا أذلِكَ ،  
لأن بعض الحلم إذعان .

(١٩) سل منها : سلبت عنه وجرده منها !!

وقد ذل من ليس له سفيه يعضده ، وضل من ليس له حكيم يرشده «  
ويقول ابن عساكر : وكان عديم نظير القول في المواعظ والأدب .  
وبعد .. فهذا هو صالح بن جناح وهذه هي رسالته التي نشرها العلامة  
الشيخ « طاهر الجزائري » .. ونشرها العلامة « محمد كرد علي » في رسائل  
البلغاء .







## كتاب الأدب والمروءة

لصالح بن جناح

بسم الله الرحمن الرحيم  
وبه نستعين

قال صالح بن جناح :

اعلم أن العرب قد تجعل للشئ الواحد أسماء ، وتسمى بالشئ الواحد أشياء ، فإذا سنع لك ذكر شئ فاذكره بأحسن أسمائه ، فإن ذلك من المروءة ، وإنما المرء بمروءته .

● فالمرؤة : اجتناب الرجل ما يشينه ||

● واجتنأؤه ما يزيئه ||

● وإنه لا مرؤة لمن لا أدب له ..

● ولا أدب لمن لا عقل له ..

● ولا عقل لمن ظن أن في عقله ما يُغنيه ويكفيه عن غيره

● وشتان بين عقل وافر معه خمسون عقلا كلها وافر مثله وأوفر منه ، وبين عقل وافر لا قادة معه .

وفي ذلك أقول شعراً :

وما أدب الإنسان شئ كعقله ولا زينة إلا يحسن التأدب

## حُسْنُ التَّأْدِبِ

الأفطدة مزارع الألسن :

وقال : إن الأفطدة مزارع الألسن ،

- فمنها ما يثبت مزارع فيه من حَسَن ، ولا يُثَبِّثُ ما سَمَّج<sup>(٢٠)</sup>
- ومنها ما يثبت ما سَمَّج ، ولا يُثَبِّثُ ما حَسَن .
- ومنها ما يُثَبِّثُ جميعَ ذلك .
- ومنها ما لا يثبت شيئا .

وإن من المنطق لما هو أشدُّ من الحجر<sup>(٢١)</sup> وأنفَسُدُ من الإبر ، وأحسَرُ من  
الأسنة<sup>(٢٢)</sup> وأنكُدُ من رُحَلِ<sup>(٢٣)</sup> ||

ولربما احتقرت كثيرا منه على حرارته ومرارته ونكده ، مخافة ما هو أحرُّ  
منه ، وأمرُّ ، وأفظعُ ، وأنكدُ .

---

(٢٠) سَمَّجٌ سحابةٌ : قَبِجٌ .

(٢١) وهو مقتبس من قول الله تعالى ﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة ، وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وإن منها لما يهبط من خشية الله . وما الله بغافل عما تعملون﴾ (البقرة : ٧٤) .

(٢٢) بل إن :

جراحات الأسنان لما التمام ولايتسام ماجرح اللسان  
(٢٣) كوكب تحيط به منطقة نيرة ، يضرب به المثل في العلو والبعد ويخذ المنجمون من رُحَلِ رمزا  
للنكد .

وفي ذلك أقول شِعْراً :

لَقَدْ أَسْمَعُ الْقَوْلَ الَّذِي كَادَ كُلَّمَا يُذَكِّرُنِيهِ الدَّهْسُ قَلْبِي يُصَدِّغُ  
فَأُبْدِي لِمَنْ أَبْدَاهُ مِنِّي بِشَاشَةً كَأَنِّي مَسْرُورٌ بِمَا مِنْهُ أَسْمَعُ<sup>(٢٤)</sup>  
ومما ذاك من عَجَبٍ به غير أنسى أرى أن ترك الشر للشر أقطَعُ<sup>(٢٥)</sup>

## ذو الوجهين فاقد المروءة

وقال في ذي الوجهين :

من أظهر ما تُحِبُّ أو تَكْرَهُ ، فإنما يقاسُ ما أضمر بما أظهر ، لأنك لا تقدر  
أن تعرف ما أسر !!<sup>(٢٦)</sup>

وقال :

ليس المسيء إذا تَغَيَّبَ سوؤهُ عِنْدِي بِمَنْزِلَةِ الْمَسِيءِ الْمُعْلِنِ<sup>(٢٧)</sup>  
من كان يُظْهِرُ ما أُحِبُّ فإنسه عِنْدِي بِمَنْزِلَةِ الْأَمِيرِ الْمُحْسِنِ<sup>(٢٨)</sup>

(٢٤) وهذا لون من المداراة ، وإعلاقي باب الشر ، ويقول الشاعر :

ولما رأيت الجهل في الناس فاشيا تحالفت حتى ظنُّ أني جاهل

ويقول آخر :

فدارهم مادمت في دارهم وأرضهم ماذنت في أرضهم

ويقول ثالث :

لو ان كلَّ كلبٍ عوى ألقمه حجراً لأصبح الصَّخْرُ مثقالاً بدينار

(٢٥) ويعلمنا القرآن فيقول :

﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ (فصلت : ٣٤) .

(٢٦) ويقول الإمام علي رضي الله عنه :

«ما أضمر أحد شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه» وفي إحدى خطب أبي جعفر المنصور :

ولا تسبوا غش الأئمة ؛ فإنه لم يُسبَّ أحد قطُّ منكراً إلا ظهرت في آثار يده ، أو فلتات لسانه ،

وأبداها الله لإمامه ، لإعزاز دينه ، وإعلاء حقه .

(٢٧) فأخطر الناس المتناقض ذلك الذي :

يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروع منك كما يروع الثعلب

(٢٨) فعلمنا أن نتحكم بالظاهر والله يولى السرائر .

والله أعلم بالقلوب وإنما لك ما بدالك مِنْهُمُ بالألسن  
ولقد يُقالُ خلاف ذلك إنما لك ما بدالك منهم بالأعْيُن

## الصُّدُودُ والرَّفْضُ

وقال في الصُّدُودِ والرَّفْضِ :

أما بعد . فقد أحضرتني من صدك ، ما آيسني من وُدك ۱۱ ولم يزل يجري  
في لحظك ما يدخلني في رِفْضك ، ويدلُّني على غِلِّ صدرك ۱۱  
وفي ذلك أقول شعراً :

تَظَلُّ في قلبه البغضاءُ كامنَةً      فالقلبُ يَكْثُمُهَا والعينُ تُبديهَا (٢٩)  
والعينُ تعرفُ في عَيْتِي مُحَدِّثُهَا      من كَانَ مِنْ حِزْبِهَا أو مَنْ يُعَادِيهَا (٣٠)  
عيناك قد دلتنا عَيْتِي منك على      أشياء لولاها ما كُنْتُ أَذْرِيهَا  
إنَّ الأمورَ التي تُحْشِي عوايِبُهَا      إنَّ السلامةَ مِنْهَا ترك ما فِيهَا

## النظر إلى مال غيرك

وقال في كثرة المال وقيلته :

لا تَسْتَكْبِرْ مالَ أَحْسَبٍ ولا تَسْتَقِلَّهُ ، حتى تعلمَ ما عياله  
فإن من كَثَرَ مالهَ و عياله فهو مُقْبَلٌ  
ومن قَلَّ مالهَ و عياله فهو مُكْبَرٌ (٣١) .

(٢٩) وفي القرآن الكريم ماجاء عن مثلهم :

﴿وقد بدت البغضاء من أفواههم ، وما تخفي صدورهم أكبر﴾ (آل عمران : ١١٨) .

(٣٠) قلعيون لعة فصيحة وفي هذا يقول الشاعر :

أشارت بطرف العين خيفة أهلها      إشارة محزون ولم تتكلم

فأيقنت أن الطرف قد قال مرحبا      وأهلا وسهلا بالحبيب المتيم

(٣١) ومن أجل هذا كان «الأولاد محنة سخلة» ولم يكن يد من أن يحتاجوا إلى تدبير حياتهم ، ولهذا

صدرت النصيحة الكريمة :

«لأن تنر ورثتك أعياء خير من أن تدرهم عالة ينكفون الناس» .

فالأمر إذن نسي .. والأولاد قلة وكثرة هم الفيصل .

## الأحقق كما تبدو صورته في مرآة ابن جناح

وقال في ذكر الأحقق ودخوله فيما لا يعنيه :

وأكثرهم دُخولاً فيما لا يُدخَل فيه أو أرضاهم بما لا يَكْفِيه اعدوه أعلم بسيره من  
صديقه ا و صديقه قد غُصُّ (٣٢) منه بريقه ا ولا يُتَّقَى بمن نصحه ا ولا يتَّهَم من  
خدعه ا ولا يأمن إلا من يخونه ا ولا يتحفظ إلا ممن يحفظه ا ولا يُكرِّم إلا من  
يُهينه ا

### الأحقق واللكيم :

أشبهُ شيء خُلِقاً باللكيم ا إن أحسنت إليه لم يشكر ا وإن أسأت إليه لم يشعُر ا  
لا ينفعك من وجه إلا ضررك من وجوه ا ا إن أقبل عليك لم يُسرك ا وإن أدبر  
عنك لم يضررك ا وإن أفسد شيئاً لم يُحسِن أن يُصلِّحَه ا وإن أصلح شيئاً  
أفسده ا (٣٣)

### ردود الفعل عنده :

إن أحببته فرأى منك حسناً لم يُحسِن أن ينشره ا وهو مع ذلك بخطئه أشدُّ  
إعجاباً من العاقل بصوابه ا إن جلس إلى العلماء لم يُزدد إلا جهلاً ا وإن جلس

---

(٣٢) يقال غُصُّ بالطعام والماء : اعترض في حلقه شيء منه فمنعه التنفس ، وذكره يعترض الحلق ويصيب  
الصديق بغصه . وفي مثله يقول الشاعر : ..... فإذا ذكرتهم غسلت فمى ا ا  
ولا عجب ..... فداء الحق ليس له دواء !!

ويقول الزمخشري في أساس البلاغة : أغصه بريقه أضجره :

(٣٣) أليس البعد عنهما ومقاطعتها غنيمه !!؟ ألا ينبغي أن نفر منهما فرارنا من الأجر ب !!؟ مطلوب منا  
أن نختار الصديق قبل الطريق وأن نعيد حساباتنا على القور فيمن تتخذ منهم مرافقين وأصدقاء .

إلى الحكماء لم يزد إلا طيشاً ! وإنما جعل نفسه المحدث لهم يكلفهم أن يكونوا  
المنصتين له (٣٤)

### لمسات أخيرة في رسم صورة الأحق :

أعيا الناس (٣٥) إذا تكلم ! وأبلدُهم إذا تعلم ! وأصحبُهم لمن يشينه ! وأرفضهم  
لمن يزينه ! وأشدُّهم في موضع اللين ! وألينُهم في موضع الشدة ! وأجبنُهم في  
موضع الشجاعة !

إن افتقر عجب من الناس كيف يستغنون ! وإن استغنى عجب من الناس  
كيف يفتقرون ! لا يفهم إن حدثته ! ولا يفقه إن أفهمته ! ولا يقبل إن  
وعظته ! ولا يذكر إن ذكرته !

### وفي ذلك أقول شعراً :

المرءُ يُصدِّعُ ثمَّ يُشْفِي داءَهُ      والحُمْتُ داءٌ ليس مِنْهُ شِفَاءُ  
والحُمْتُ طبعٌ لا يُحَوِّلُ مَرَكَبٌ      ما إنَّ لِأَحْمَقٍ — فَاغْلَمَنَّ — دَوَاءُ (٣٦)

(٣٤) وهذا النموذج يحيا بيننا ، وكثيرا مانلقاه ومن الخير لنا أن نتركه حاتبا مادام يحفظه معجبا .

وقد كان عبد الملك بن مروان يعتبر الإنصات مدرسة يتخرج فيها العلماء والحكماء ، فكان يقول  
لابنه : «إذا جالست العلماء فأنصت لهم ، وإذا جالست الجهال فأنصت لهم ؛ فإن في إنصاتك للعلماء  
زيادة في العلم ، وفي إنصاتك للجهال زيادة في الخلم .»

وإذا كان سبحانه قد منحنا لسانا واحدا وأذنين فما ذلك إلا لتسمع ضعف ما تتكلم .

وعينا أن كل واحد منا يريد أن يكون هو المتكلم فمن يسمع ؟ ومن يصت ؟ .

إن معظم طلبتنا لا يستفيدون من المحاضرات الجامعية .. ماذا إلا لأهم لم يتعلموا فن الإنصات !

(٣٥) العيى : الحصر والعجز عن الكلام ، وقد كان العرب يضرهون المثل بياقل في العيى فيقولون : «أعيا  
من بياقل»

وبياقل من «إياده» اشترى ظبيا بأحد عشر فسعل عن ثمنه فسد يديه ، وأخرج لسانه فشرد الظبي . (مجمع  
الأمثال للميداني) .

(٣٦) لا يُحوِّلُ لا يتحول عن صاحبه فقد ركب في طبيعته التي خلق عليها ، وفقه في خلقه شعور !

## هذه الأهواء التي تقودنا

إلى أين ؟

وقال في ذكرى الهوى :

- إن من الناس من إذا هَوِيَ عَمِيَ<sup>(٣٧)</sup>
  - ومنهم من إذا هوى أبصر مرة وعمى أخرى
  - ومنهم من إذا هوى لم يكذب يخفى عليه شيء
- وهو اللبيب العاقل ، الحليم الكامل ، الذى إن أعجبه أمرٌ نظر إلى هواه وعقله :

- فإن اتفقا اتبعتهما .
  - وإن اختلفا اتبع عقله وترك هواه ، وكان أمره معتدلاً ، يشبه بعضه بعضاً ، وقليل ما هم !
- وفى ذلك أقول شعراً :

أملك هواك إذا دعاك فرئمتما قاذ الحليمم إلى الهلاك هواه<sup>(٣٨)</sup>  
الله يسعد من يشاء بفضله وإذا أراد شقاءه أشقاه

## سلوك من يفقد المروعة !

وقال أيضا فى أناس :

- تحسن وجوههم عند حاجتهم
- وتغير وجوههم عند استغنائهم

(٣٧) «ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا» (الإسراء : ٧٢)

(٣٨) وقد نهانا الله فقال : «ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله» (ص : ٢٦)

أرى قوماً وجوههم حسناً إذا كانت حوائجهم إلينا  
 وإن كانت حوائجنا إليهم تغبر حسن أوجههم علينا  
 ومنهم من سيمسح ماله به ويغضب حين يمسح ماله بنا  
 فإن يك فعلهم شحاً وفسلي قبيحاً مثله فقسد استويتهما<sup>(٣٩)</sup>

## الذين يتصدون لما لا يُحسِنون !!

وقال فيمن فعل أمراً لا يُحسِن أن يحال له :

اعلم أن من قاتل بغير عُدَّة ، أو خاصم بغير حجة أو صارع بغير قوة ، فهو  
 الذي صرع نفسه ، وخصم نفسه ، وقتل نفسه<sup>(٤٠)</sup> .

فإن ابتليت بقتال أحد ، أو مخاصمته ، أو مصارعته ، فأحسن الإعداد  
 له<sup>(٤١)</sup> ، واعرف مع ذلك عُدَّته وأبصر حُجَّتَه ، واخبر قُوَّته . كما يخبر قوتك ،  
 وحُجَّتَكَ ، وعُدَّتَكَ .

فإن رأيت تقدماً ، وإلا كان التأخر قبل التقدم خيراً من التندُّم بعد  
 التقدُّم !!

## وفي ذلك أقول شعراً :

إذا ما أردت الأمر فاعرفه كُله وقسه قياس الثوب قبل التقلُّم<sup>(٤٢)</sup>  
 لعلك تشجو سالماً من ندامية فلا خيبر في أمر أقي بالتقلُّم

(٣٩) ومثل هؤلاء نصادفهم في مجتمعاتنا من أصحاب المصالح :

كثيرون عند جنسى النار قليلون عند غرس الشجر

يفرشون الرمال للزائر ، وينفضون عنه إذا لم يكن لهم حاجة إليه ..

(٤٠) وقد علمنا الدين ألا تعرض من البلاء لما لا تُطيق حتى لا يُذل المسلم نفسه .

(٤١) ألا ليتنا واجهنا كل أعدائنا بهذا الفكر الذى يثبت من قول الله تعالى ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ !!

ولكننا نجر الآلام ونعيش ذل الديون وهمومها ليلاً ونهاراً .

(٤٢) وفي عصرنا الحديث أصبح «الكومبيوتر» رائد الإنسان إلى المهول ، ودليله إلى التقدُّم والنجاة !!

وكل شيء بحساب وكثيراً ما يعيد الإنسان حساباته طلباً للنجاة !!



## إتيان الأمر من غير جهته :

وإن من الناس من يرزق حجة ، أو عدة أو قوة ، فتكون عُدته هي التي تقتله ، وقوته هي التي تُصرعه ، وحجته هي التي تُحصمه ، وذلك أنه ربما أدل<sup>(٤٣)</sup> فقاتل قبل ان يعلم : أهو أعدد أم الذي يقاتله ؟ وكذلك في السدى يخاصمه ويصارعه ، فإذا هو قد قتل ، أو صرِع أو تُحصِم ، فلم تنفعه جودة عُدته ، ولا قوة حجته حين أتى الأمر من غير جهته .

## وفي ذلك أقول شعراً

إذا ما أتيت الأمر من غير وجهه    تصعب حتى لا ترى منه مُرتقى  
فإن الذي يصطاد بالفسخ إن عتسا    على الفسخ كان الفسخ أعتى وأضيقاً<sup>(٤٤)</sup>  
الذي يعاتب الناس بغير مودتهم    ويوجب حق نفسه عليهم

وقال في الذي يعاتب الناس بغير مودتهم ، ويوجب حق نفسه عليهم :  
لا تدفع الناس إلى برك وإجلال أمرك وتعظيم قدرك .

.... بالمغالبة

ولكن ادعهم الى ذلك بما تستوجبهم منهم وانظر الأمر الذي أُكْرِمَ به من هو أبعد منك ... وقرب به من هو أقرب منك .

... فالزفة<sup>(٤٥)</sup>

(٤٣) تملكه الإعجاب بقوته ، واستولى عليه الغرور فاجترأ .

(٤٤) فما أشد حاجتنا إلى العلم والفهم والرفق في معالجة الأمور بعد دراسة متأنية وخبرة حكيمة حتى تنجح مسيرتنا ويتقدم ركبتنا وإلا فسوف نطل «مهلك سره» وكأننا «ننفع في قرية مقطوعة» فإن الأمور لما أبواب وقد قال الشاعر :

إذا ما أتيت الأمر من غير بابه    ضللت ، وإن تقصد إلى الباب تهدي

(٤٥) كثيرون في محمها أولئك الذين لا يكفون عن العتاب ليشعروا من حولهم بالمقصير والذنب ، فالإنسان يجرز مكانة الحب والتقدير والاحرام بالبذل والعطاء وعندئذ يشعر الناس حوه بما قصروا في حقه ... ومثله من يقول في الشاعر :

إذا ذهب العتاب فليس ود    ويقى الود مابقى العتاب

فإنك إن تلزمه لم تحتج معه إلى معاتبة ، ولا استبطاء حق لأنك إن  
دعوتهم إلى تكريمك بغير ما تستوجب التكرمة به ، فإنما دعوتهم إلى إهانتك :

● إما بكلام يجرحك وإما بفعال تفدحك<sup>(٤٦)</sup>

وإن دعاهم إلى ذلك فضلك : أجابوا :

● إما بشيء يرفئك أو بخزاء ينفئك .



---

(٤٦) فدحه الأمر : أتقله وسهظه ، والفادحة النازلة ، وفوادح الدهر خطوبه .



## معرفة الإخوان

كيف يتسنى لنا معرفتهم ؟

وقال في معرفة الإخوان : إنك لن تعرف أخاك حق المعرفة ، ولن تحبّه حق المحبة ، ولن تجربّه حق التجربة ، وإن كنتما في دار واحدة حتى تسافر معه ، أو تعامله بالدينار والدرهم<sup>(٤٧)</sup> ، أو تقع في شدة ، أو تحتاج إليه في مهمة .

فإذا بلوته<sup>(٤٨)</sup> في هذه الأشياء ، فرضيته ... فانظر !

● فإن كان أكبر منك فاتخذه أباً

● وإن كان أصغر منك فاتخذه ابناً

● وإن كان مثلك فاتخذه أخاً

وكن به أوثق منك بنفسك في بعض المواطن<sup>(٤٩)</sup> .



---

(٤٧) وقد قال شاعرنا :

لا تمدحنيّ امرأ حتى تجربته ولا تذلّمه من غير تجربه

(٤٨) بلوته : امتحنه واختبرته .

(٤٩) إننا بهذا نصنع الأساس المتين للعلاقات في المجتمع ويتلفت الإنسان حوله فإذا هو بين أب وأخ وابن فيجد نفسه ، ويلتزم الشمل وتعود الروح .



محاذير يجب أن نتبها إليها :

وقال :

كن من الكريم على حذر إن أهنته <sup>(٥٠١)</sup> ومن اللئيم إن أكرمته <sup>(٥٠١)</sup> ومن العاقل إن أخرجته ومن الأحمق إن مازحته ومن الفاجر إن عاشرتة ولا تُبدل على من لا يحتمل إدلالك <sup>(٥٠٢)</sup> ولا تُقبل على من لا يحب إقبالك وكن حديراً كأنك غير <sup>(٥٠٣)</sup> وكن ذاكراً كأنك ناسي والزم الصمت إلى أن يلزمك التكلم فما أكثر من يندم إذا نطق !! وأقل من يندم إذا لم ينطق !!

عندما ينبغي التكلم :

وإذا ابتليت فعند ذلك تُعرف جودة منطقتك .. وقلة ذلك . وسعة عفتك .. وقلة حيلتك .. ومنفعة قوتك .. وحسن تخلصك <sup>(٥٠٤)</sup>  
وأعلم أن بعض القول أغمض من بعض وبعضه أبين من بعض وبعضه أحسن من بعض وبعضه أدين من بعض وإن كان واحداً .

أثر الكلمة اللينة والكلمة الخشنة :

فإن الكلمة اللينة <sup>(٥٥٠)</sup> لتلين من القلوب ما هو أحسن من الحديد وإن الكلمة الخشنة لتحشن من القلوب ما هو ألين من الحرير !

(٥٠) فهو يؤمن أن من لا يكرم نفسه لا يكرم .

وأن : من يسهل الهوان عليه ما لجرح يميت إيلام

(٥١) فقد قالوا :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكه وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

(٥٢) يقال أذّل فلان على فلان أبسط وتدليل وأوتق ممحه .

(٥٣) البئر : الذي لا تجرمة له .

(٥٤) فلانما يمتاز إنسان على آخر بما يكون معه في مثل هذه المواقف .

(٥٥) وقد جاء القرآن بهذا ﴿فبها رحمة من الله لست لهم﴾ وقونه سبحانه : ﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب

لا نفصوا من حولك﴾ وقوله عز وجل : ﴿فقلوا له فولا لها لعله يذكر أو يستحي﴾

أعظم الناس بلاءً :

وإن أعظم الناس بلاءً ، وأدومهم عناءً ، وأطولهم شقاءً من ابتلى بلسانٍ مطلق ، <sup>(٥٦)</sup> وفؤاد مطبق ، فهو لا يُحسِنُ أن ينطق ، ولا يقدر أن يسكت .

مالا يحسن بك :

واعلم أنه ليس يحسن أن تجيب من لا يسألك ولا أن تسأل من لا يجيبك وفي ذلك أقول شعرا :

ولا خيرَ في حليم إذا لم يكن له بوادرُ تحمى صفوه أن يُكْدرا  
ولا خيرَ في جهيل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرًا <sup>(٥٧)</sup>

وجه من وجوه المروءة :

وقال في الرفق بالدواب :

إن رفق الرجل بدوابه <sup>(٥٨)</sup> ، وحسن تعاهده لها وقيامه عليها عمل من أعمال البر ، وسبب من أسباب الغنى ووجه من وجوه المروءة !

وجه آخر للمروءة :

وقال : التديير مع المال القليل ، خير من المال الكثير مع سوء التديير <sup>(٥٩)</sup> وإنما المتفقون ثلاثة :

● جَوَادٌ مُبْدِرٌ

● وَكَرِيمٌ مُقَدِّرٌ

● وَلَتِيمٌ مُقْتَرٌ .

(٥٦) فكل حطايا الإنسان من لسانه ، وإذا أطلقه هنا وهناك حرح وأدمى القلوب وكدر النفوس وربما التأمت جراحات السيوف والأسنة ، ولكن جراحات الألسنة لا تلثم :

جراحات السنسان لها التمام ولا يلتام ماجسرح السللسان

(٥٧) يقال أصدر الإمل : إذا ساقها بعد ورودها الماء .

والمقصود أنه يصعب الأمور في نصابها ، ويؤذيها على الوجه الأكمل تامة غير مقوصة .

(٥٨) ومن حرم الرفق فقد حرم الخير كله .. مما دخل الرفق في شيء إلا زانه ، ولا عدم من شيء إلا شانه !

(٥٩) فالقليل مع التدبير يحقق الهدف . وببيض ، أما الكثير مع سوء التدبير فمضيره إلى ضياع وتدد .

## وفي ذلك أقول شعراً :

ربُّ مالي سينعمُ الناسُ فيه وهو عن ربه قليل الغناء<sup>(٦٠)</sup>  
كان يشقى به وينصب حيناً ثم أمسى لمعشر غرباء<sup>(٦١)</sup>  
ماله عندهم جزاء إذا ما أنعموا فيه غير سوء الثناء  
رب مالي يكون غمماً وذمماً وغنى يُعدُّ في الفقراء ١١  
من كمال الأدب والمروءة مع الضيفان .<sup>(٦٢)</sup>

وقال في تصنيف الطعام :

إذا كنت ممن يؤكل طعامه ، وتحضر مائدته ، ويؤكل معه ، فليكن الذي يتولى  
صنعة طعامك من ألب الناس في عمله ، وأنظفهم في يديه ، ولا تدع إعلامه إن أحسن ،  
ولا إنذاره إن أساء ، فإن تعبتك عليه خير من تعبت الناس عليك .

## من كمال المروءة وحسن الأدب نظافة المظهر :

قل لي ماذا تلبس ؟ أقل لك من أنت ؟ ١

واعلم أن لكل شيء غاية وأن غاية الاستنقاء<sup>(٦٣)</sup> التنظيف في الاستنجاء والاكثار من  
الماء حتى يستوى اليبدان والريح والمنظر ، فإنه لا طيب أطيب من الماء ، ولو أنه المسك وما  
أشبهه من الأشياء وإنما يستدل على نظافة الرجل بنقاء أثوابه<sup>(٦٤)</sup> وإنما يكون القدر في  
الحمقى من الرجال والنساء ، وبه يستدل على بلادتهم ، وفي ذلك أقول شعراً .  
ولا خير قبل الماء في الطيب كله وما الطيب إلا الماء قبل التطيب  
وما أنظف الأحرار في كل مطعم وما أنظف الأحرار من كل مشرب

(٦٠) ربه : صاحبه . قليل الغناء — نصح الغين — قليل الفائدة .

(٦١) ينصب : — بفتح الصاد — يعب ويجد في تحصيله ويشقى في الحصول عليه .

(٦٢) ضيفان : جمع ضيف ، وقد أمرنا بإكرام الضيف .

(٦٣) طلب النقاء والحصول عليه .

(٦٤) وهناك لفظة كريمة إلى نقاء الثوب ﴿وثيابك فطهر﴾ وليس من الكبر أن يكون الرجل ثوبه نظيفاً  
ونعله نظيفاً ، والله جميل يحب الجمال .

وكما ينبى الاهتمام بالخبر يجب أن يتم بالمظهر على أن يكون ذلك ناعماً من ثلاثة أشياء : النظافة ،  
والبساطة ، والرجولة .

## كيف تبدو في نظر العدو والصديق ؟

وقال في صفة العدو والصديق :

احرص ألا يراك صديقك إلا أنظف ما تكون ولا يراك عدوك إلا أحسن ما تكون .  
فأما الصديق فإن كان الذي أعجبه منك تحلقك أو تحلقك ولهما كان يحبك ،  
فكلما ازددت حسنا كان حبه لك أكثر ، ورغبته فيه أوفر .

وأما العدو فليس شيء أعجب إليه من دما منك وخساستك ، فاحترس منه ، وأظهر  
الجميل ، فليس شيء أعجب إليه من الثمك منك ، فانظر ألا يكون شيء أعجب إليك  
من التحصن منه<sup>(٦٥)</sup> .

لا مروءة لمن لا أدب له .. !! ولا أدب لمن لا عقل له .. !!

وقال في العقل والأدب :

اعلم أن العقل أمير ، وأن الأدب وزير فإن لم يكن وزير ، ضعف الأمير . وإن لم يكن  
أمير بطل الوزير !!

وإنما مثل العقل والأدب كمثل الصيقل والسيف ، فإن الصيقل إذا أعطى  
السيف أخذه فصقله ، فعاد جمالاً ، ومالا ، وعَضُدًا يُعتمد عليه ، ويُنتجأ إليه .  
فالصيقل<sup>(٦٦)</sup> الأدب ، والسيف العقل .

فإذا وجد الأدب عقلا تفقه ووقفه ، وقواه وسدده ، كما يصنع الصيقل  
بالسيف .

وإذا لم يجد عقلا لم يعمل شيئا ، لانه لا يُصَلِّحُ إلا ما وجد .

وإن من السيوف لما يصقل ويُسقى ويخدم ، ثم يباع بأدنى الثمن . ومنها ما  
يباع بزنته درًا وزيبرجدا<sup>(٦٧)</sup> ، وذلك على نحو الحديد وجودته أو رداءته .

(٦٥) وفي القيم والمبادئ السليمة ما يعصم ويصون ويحمي وعند ذلك لا يجد العدو نفرة يصل بها إلى  
التيل ملك .

(٦٦) يقال : صقله أى جلاه ، والصيقل : شحاذ السيوف وجلأها .

(٦٧) الزبرجد : من الجواهر الكريمة .



وكذلك الرجلان يتأديبان بأدب واحد ، ثم يكون أحدهما أنفذ من الآخر  
أضعافاً مضاعفة .

وإنما ذلك على قدر العقل وقوته في الأصل وفي ذلك قلت شعراً :  
وقد يُصلح التأديب من كان عاقلاً وإن لم يكن عقل فلن ينفع الأدب  
وقال في المراء :

إذا اجتمع أهل نوع فتذاكروا على نوعهم ذلك ، فلم يكن أصل كل واحد  
منهم أن ينفع بما أسمع ، ويتنفع بما سمع . فاعلم أن تذاكرهم ذلك من أول  
المراء : يصدع العلم ، ويوهن الوُد ، ويورث الجمود ، وينشئ الشحنةاء ،  
وينغل القلب .

وفي ذلك أقول :

تجنب صديق سوء واصرم حباله فإن لم تجد عنه محيصاً فداره<sup>(٦٨)</sup>  
وأحبب صديق الخير واحذر مراءه تمل منه صفو السؤد مالم تجاره<sup>(٦٩)</sup>

الحكمة ضالة المؤمن :

وقال في الحكمة :

أما ما يُسمَع من كثير من الحكمة فإن أوله شيء يخطر على الأفئدة إذا خطر  
وهو أصغر من الخردلة ، وأدق من الشعر ، وأوهن من البعوضة ، ثم تحركه  
الألسنة ، وتنبذه الأفئدة ، كما يحاك البرد ، وكما يُمَدُّ النهر ، فيعود أكثر من  
الكثير ، وأوثق من الحديد ، وأتمن من الجواهر وأحسن من الذهب ، وأنفع من  
كليهما ، لأنه يزيد في المنطق ، ويُذكي الذهن ، ويعين على الابلاغ ، ويتجمل  
به القائل ، ويتقلب فيه كيف يشاء ويختار منه ما يشاء ، فيتنفع به اللطيف وينبل  
به السخيف | ويتأيد به الضعيف | ويزداد به الأيد<sup>(٧٠)</sup> قوة في منطقته ، وبلاغة

(٦٨) اصرم حاله : قطع ما بينك وبينه من صلة . محيصاً : مفراً ومخرجاً فداره : حاول الإصلاح كما  
يحاول السابح في الماء الجاري من غير أن تفقد دينك وتخلطك فمن لم يدار الناس ملوه .

(٦٩) المراء : الاعراض ، ولا يكون المراء إلا اعتراضاً بخلاف الجدل فإنه يكون ابتداءً واعتراضاً .

(٧٠) الأيد : القوى .

في كعبه ، فيكون في حفظه منفعة للخطباء في خطبهم وللبلغاء في بلاغتهم  
وكتبتهم وللكرماء في بشاشتهم وللشعراء في قصائدهم .

### نصيحة لأصحاب الحكمة :

فإذا كنت ممن يؤلف حكمة أو يضع رسالة أو يذكر في مهمة ، فلا  
تكلمه<sup>(٧١)</sup> قلبك ولا تكثره ذهنك !! ، فإن القلب إذا أكره كل ووقف ولكن إذا  
كنت في شيء من ذلك ، فاستعن بالفرغ منه على التفرغ له ، والتأخر عنه على  
التقدم فيه ، فإن الدهن يجم كما يجم البئر ، ويصفو كما يصفو الماء .

### إخراج الكلام :

وقال في الكلام وإخراجه : اعلم أن مثل الكلام كمثل الحجارة : فمنها ما  
هو أعز من الذهب والفضة !! ومنها ما لا يعطى في الصخرة العظيمة منه  
درهم !! .

### وفي ذلك أقول شعرا :

وما الحجرُ الكبيرُ أعزُّ فيما ظفرتُ به من الحجرِ الصغيرِ  
وكم أبصرتُ من حجرٍ خفيفٍ صغيرٍ يبع بالثمن الكثيرِ

### طلاقة الوجه وحسن الخلق :

وقال في طلاقة الوجه وحسن الخلق : كن أسهل ما تكون وجهاً ، وأظهر ما  
تكون بشراً ، وأقصر ما تكون أمداً ، وأحسن ما تكون خلقاً ، وألين ما تكون كنفاً ،  
وأوسع ما تكون أخلاقاً ، فإن الأيام والأشياء عقب ودول<sup>(٧٢)</sup> . فإن أنكرت منها شيئاً  
يوماً ما كان ما أنكرته منها شيئاً خفيفاً على أهل السماتة ، وعلى أهل الصفاء . واحذر  
أن تحزن من يحبك ، وتفرح من يحسدك فلم أر في مصاب الدهر مصيبة أوحش من  
تغيير النعمة ، وإن أنت لم تنكر منها شيئاً ، ودامت لك بما تريد ، مما في الدنيا شيء تناله

(٧١) كنه : عمى والأكنه (المولود أعمى) .

(٧٢) يعقب بعضها بعضاً وهي متداولة بين الناس فيوم لنا ويوم علينا ، والمراد أنها لا تسمر على حال .

بدعة ورفق ، إلا وهو أهناً مما نيل بتعبي ونصب . فأما من كُفِيَ وعوفى فما يصنع بالغضب والتضاييق ؟ وإنما همُّ العُمُر !! ونكد الدهر !! .

وفي ذلك أقول شعراً :

ما تمّ شيءٌ من الدنيا علمتُ به إلا استحقَّ عليه النقصُ والغيْرُ<sup>(٧٣)</sup>  
ولا تغَيَّر من قومٍ نعيمُهُم  
فعداد غمًّا ولن تلقى أمراً أبداً  
إلا تكبَّر منه الوردُ والصَّدْرُ<sup>(٧٤)</sup>  
أغمُّ من ملكٍ حين يفتقر !!

جزاء من يكذب :

وقال في الكذب :

كذبت ومن يكذب فإنَّ جزاءه  
إذا ما أتى بالصدق أن لا يُصدَّقا  
لا خير في كذوب :

وقال فيه أيضا :

إذا ما رأيت المرء حُلوا لسائسه  
كذوباً فأيقن أنه لا حياء له  
ولا خير في الإنسان إن لم يكن له  
حياء ، ولا في كل من لا وقاله  
وقال في الاخوان :

ليس من كان في الرخاء صديقا  
وعدو الصديق بعد الرخاء  
عُدَّة في إخوانه لصديقي  
إنما ذلك عُدَّة الأعداء  
لو ظفرتنا بذي إخفاء أمين  
لاشترينا إخاءه بالفلاء  
لو وجدنا أحماً متيناً أميناً  
لا تخدنا إخاءه للشفاء

مصاحبة الرجال :

أما الرفقاء في السفر ، والجلساء في الحضر ، والخلطاء في النعم ، والشركاء في العدم<sup>(٧٥)</sup> ، فاحفظ مصاحبهم ، وواظب على إخوانهم .

(٧٣) غير الدهر : أحداثه .

(٧٤) الورد : الورد على الماء للسقيا ، والصدر الرجوع بعد حمل الماء ويقصد البدء والنهاية .. أوله وآخره .

(٧٥) في الفقر .

وفي ذلك أقول شعراً :

وكنت إذا صحبت رجال قوم صحبتهم وشيمتسى الوفاء  
فأحسب حين يُحسِنُ مُحسِنُوهُمُ وأجتنب الإساءة إن أساءوا  
وأبصر ما يعيُّهُمُ بعين مشيتهم وأتسرك ما أشاء  
أريد رضاَهُمُ ابتداءً وآتى

المبادأة بالشر :

لا تتبدئن أحداً بصغير مما يكره ولا بكبيره فإن ابتدأك أحدٌ بشيءٍ من ذلك فقدرت  
على الانتصار منه فعفوت ، أو انتصرت ، فما أحسن جميع ذلك ! إلا أن العفو أكرم  
والانتصار أعز وكلاهما حظ .

وفي ذلك أقول شعراً :

وأى الناس ألام من سفيه يقول ولا يخاف من الجواب ؟ !  
إياك والجهل :

وقال في الجهل : إياك والجهل ، فإنما تجهل على ثلاثة :

رَجُلٌ أنت أعزُّ منه ورجلٌ هو أعزُّ منك ورجلٌ أنت وهو في العزِّ سواء : فأما جهلك  
على من أنت أعز منه فلوم ! وأما جهلك على من هو أعزُّ منك فحيف !<sup>(٧٦)</sup> وأما  
جهلك على من هو مثلك فهراش مثل هراش الكلبين !<sup>(٧٧)</sup> ولن يفترقا إلا مقبوحين أو  
بمروحين ! وليس هذا من فعال الحكماء والعلماء : الحليم أرزن ! والجهول أنقص !

وفي ذلك أقول شعراً :

ماتم علم ولا جلم بلا أدب ولا تجاهل في قوم حلیمان  
ولا التجاهل إلا ثوب ذى دنس وليس يلبسه إلا سفیان

(٧٦) الحيف : الظلم .

(٧٧) تقاتل .

## حُسن المظهر والخير

وقال في رؤية الرجل وخبره :

إن من الناس من يُعجِبُك حين تراه ، وتزداد عند الخيرة إعجاباً به .  
ومنهم يُبغِضُهُ حين تراه ، وعند الخير تكون له أكثر بغضا . ومنهم من  
يُعجِبُك بخبره ، ولا يعجبك منظره .  
ومنهم من يعجبك منظره ، ولا يعجبك خبره .

وفي ذلك أقول شعراً :

ترى بين الرجال العينُ فضلاً      وفيما أضمرُوا اللبِنَ الغيُنُ  
ولونُ الماءِ مشعبه وليس      تُخَبِّرُ عن مذاقِبه الثُّيُونُ  
فلا تَعَجَلْ بِتَطْقِي قَبْلَ خُبْر      فعند الخُبْر تنصرم الظنُونُ

وقال أيضا في ذلك :

وما صَوَّرَ الرجالُ بها امتحانُ      وميافيا لمخبرِ يبانُ  
ولكن فعلُهُم يُنبئُك عنهمو      به تجب الكراماتُ والهوانُ  
وما الإنسانُ لولا أصغراء<sup>(٧٨)</sup>      سوى صَوْرٍ يصورها البنانُ

وقال أيضا :

لم أزلُ أبغضُ كلَّ امرئٍ      وجهُهُ أخصنُ من خبره  
فهو كالغصنِ يُرى ناضراً      ناعماً يُفجِبُ من زفيره  
ثم يبيدو بعده ثم      فيكون السُّمُّ في ثمره

وقال في النهي عن القبيح :

وإذا رأيت من أحدٍ أمراً فنهيتَه عنه فلم يحمِلك ، ولم يذم نفسه على  
مكانه ، أو يُحدثُ حدثاً تعلم أنه قد انتفع بمقالتك ، فإن ذلك عيب آخر قد  
بدا لك منه ، لعله أقبح من الذي نهيتَه عنه .

(٧٨) الأصغران : القلب واللسان .

وفي ذلك أقول شعراً :

ولا نبيت غويًّا عن غوايته إلا استزادَ كَأني كنت أغريه ۱۱  
ولا نصحت له إلا تيسر لي منه الجفاء كَأني كنت أغويه

## كيف تكون المؤاخاة ؟

وقال في المؤاخاة :

لا تُؤاخَ أحداً إلا على اختيارٍ منك له ، وارتضاءٍ منك به ، واتفاقٍ منه لك (٨٠)

فإذا اتفق أمركما كذلك فاعلم أن كليكما يحسن ويسوء ، ويصيب ويخطيء ، ويحفظ ويُضَيِّع (٨١)

فوطنٌ نفسك على الشكر إذا حفظ ، وعلى الصبر إذا أضرع ، وعلى المكافأة إذا أحسن ،

وعلى الاحتمال والمعاتبة إذا أساء (٨٢) .

فإن معاتبة الصديق إذا أساء أحبُّ إلى الحلِيم من القطيعة في معاشرة من يؤاخيه .

وفي ذلك أقول شعراً :

وإذا عتبت على امرئٍ أحبيته فوق ضائِر عُثْبِه وسبابِه  
وَأَلْسِنَ جناحك ما استلان لؤده وأجب أخاك إذا دعا لجوابِه

(٧٩) الغوى : الضال الفاسد وهناك فرق بين الإعواء والإعراء ، فالإعواء مالفساد والإعراء بالخير .

(٨٠) فإن الأرواح جنودٌ مُتَحَدَّةٌ .. معايرف منها الشف ، وماتناكر منها الخلف .

(٨١) من ذا الذي مأساء قط ؟ ومن به الحسنف فقط؟

ولست يمتسقب لا تلتسه على سع نى الرجال المهذب ؟

(٨٢) والمعاتبة تُبقي على اللؤد :

إذا ذهب العاثُ فليس وُدٌ ويقي اللؤد ما نفس العاثُ

واحرص على أن تعرف موقعك من كل أحد حتى من أهلك وأهلك .  
فإن من السخافة أن تكون لأخيك فيما يحب ويكون لك فيما تكره .  
وما أقبح أن تكون له فيما يكره ، ويكون لك فيما تحب .  
واعلم أن من تنفك صداقته ، ولا تضرك عداوته ، الكريم الذي :  
إن أحسنت إليه كافأك ، وإن أسأت إليه عاتبك .  
وأما من تضرك عداوته ، ولا تنفك صحبته ، فهو الجاهل السفیه اللئيم .  
وفي ذلك أقول شعرا :

من الناس من إن يرض لا تنفع به . ولكن متى يسخط فما شئت من ضرر  
ضعيف على الأعداء لكن قلبه أشد إذا لاقى الصديق من الحجر  
وقال في قلب الدنيا شعراً :

إنما الدنيا سراج	ضوءه ضوء معراج
بيننا غصنك غصن	ناعم فيه اخضرار
إذ رماه الدهر يوماً	فإذا فيه اصفرار
وكذاك الليل يأتي	ثم يحسوه النهار

## فدارهم مادمت في دارهم

وقال في المداراة :

إذا هبطت بلداً أهلها على غير ما تعرف ، وأنت على غير ما يعرفون ، فالزم  
كثيراً من المداراة ! ، فما أكثر من دارى ولم يسلم ! ، فكيف بمن لم يكن منه  
مداراة !؟ .

وفي ذلك أقول شعرا :

ياذا الذى أصبح لا والبدأ له على الأرض ولا والـــــــدة  
قد مات من قبلهمـــــــا آدم فأى نفس بعده خالـــــــده ؟  
إن جئت أرضا أهلها كلهم عور ففمض عينك الواحدة

آخر الدواء الكى :

وقال : لا تقاتلن أحداً تجد من قتاله بُداً ، فإنما الحق لمن غلب ، ولا غالب  
إلا الله ، وإن آخر الدواء الكى ، فلا تجعله أولاً .

وفي ذلك أقول شعراً :

وكم رأينا من أخى غِبْطَةٍ أصبح مسروراً وأمسى حزينا  
وكم فسى يَرْكَبُ طاحونةً للحرب قد أصبح فيها طحينا

وقال فى الإعسار والإيسار :

كم من صديقي لنا أيام دولتنا وكان يمدحنا قد صار يهجوننا  
إلى لأعجب ممن كان يصحبننا ما كان أكثرهم إلا يراءوننا  
لم تدر حتى انقضت عُنَّا إمارتنا من كان ينصحننا أو كان يُغويننا  
من كان يُنصِفُننا ما كان يصحبننا إلا ليخدعنا عَمَّا بأيدينا

وقال فى الصلة والتفضل :

لا يكن من وصلك أحق بصلتك منك بصليته . ولا من تفضل عليك أولى  
بالتفضل منك عليه . فإنما أنت وهو كرجلين ابتدرا أكرومة فقصر أحدهما  
وبلغ الآخر ؛ فأما القاصر فقصر عن خط نفسه ، وأما البالغ فبلغ بجميل أمره  
وعظيم قدره .



## قدرنا !!

وقال في القدر :

إذا كان الرجل ليبيّا فاعلم أنه كامل  
ولكن لن يقدمه ذلك إلى ما كان يطالب  
ولن يؤخره عما كان يُخاذِر  
إلا بقدر يلحق به ما طلب  
ويسبق به ما يحذر

وإن من الناس من يؤتى منطقاً وعقلاً ، ولا يؤتى مالا ، ومنهم من يؤتى  
مالا ، ولا يؤتى غيره ؛ فيحتاج مع ماله إلى عقل ذى العقل ومنطقه .  
ويحتاج ذو العقل إلى مال ذى المال ورفيده (٨٣) .

وينهض هذا بهذا ، وهذا بهذا ؛ فليس لأحدهما عنى عن الآخر .  
فأخوَجَ الملك إلى السوق ا ، (٨٤) وأحوجت السوق إلى الملك ا

## التفاضل

وقال في التفاضل : لا تُثقل : فلان أغنى منى ا وأنا أحزم منه ؛ فإنه لو جمع  
العقل والشدة والشجاعة والمال وأشباه ذلك لقوم ، وبقي قوم لاشيء لهم  
هلكوا ، ولكن الله عز وجل قال :

﴿أهم يقسمون رحمة ربك . نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا  
ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات﴾ (الزخرف : ٣٢)

فأوتى بعضهم عقلاً ، وبعضهم قوة ، وبعضهم مالا ، مع أشياء مما فيه  
صلاحهم ، وبه معاشهم ، ثم أحوج بعضهم إلى بعض فعاشوا .

(٨٣) الرّفد : بكسر الراء المشددة : العطاء .

(٨٤) السّوقة : العامة من الشعب والرعية تقال للواحد والجمع والمؤنث والمذكر .

وإنما مثل الرجل ورزقه ... ، ومثل عقله وأدبه ومُروءته وحكمه ، كمثل الرامي ورميته ، فلا بد للرامي من سهم ، ولا بد لسهمه من قوس ، ولا بد لقوسه من وتر ، ولا بد لجميع ذلك من قدرٍ يبلغ مارشقه . ، ويصيب به ما يبلغ ، ويحوز به ما أصاب ، وإلا فلا شيء .

فالرامي الرجل ، والرمية الرزق ، ولا يجمع بينهما عقل ولا عز ، ولا شيء من ذلك إلا بقدر .

وفي ذلك أقول شعرا :

ما للقوسُ إلا عصاً في كَفِّ صاحبها يرعى بها الضأن أو يُرعى بها البقرُ  
أو عود بانٍ وإن كانت معقفةً حتى يضمُّ إليها السهمُ والوتر  
وإن جمعت لها هذين فهى عصاً حتى يساعد من يرمى بها القسدرُ

## أخلاق الأتقياء وأخلاق الأشقياء

وقال : إن حسن السَّمْت <sup>(٨٥)</sup> ، وطول الصمت ، ومشى القصد من أخلاق الأتقياء !

وإن سوء السَّمْت ، وترك الصمت ، ومشى الخيلاء من أخلاق الأشقياء !  
فإذا مشيت فوق الأرض فاذا كرت من تحتها !! وكيف كانوا فوقها ؟ وكيف حلوا  
بطنها ؟ ، وكيف كانوا أمما ؟

واعلم أن ابن آدم أعزُّ من الأسد ، وأشدُّ من العمَد ، <sup>(٨٦)</sup> ما لم تُصِبه أدنى شوكة وأدنى مرض ، وأدنى مصيبة فإذا أصابه شيء من ذلك وجدته أهون من الذرة <sup>(٨٧)</sup> وأمنهن <sup>(٨٨)</sup> من البعوضة ! .

(٨٥) السَّمْت : الهيئة والشكل العام .

(٨٦) العمَد : الأعمدة .

(٨٧) الهباء : الذي يرى في الشمس ويضرب به الخلل في الصعر والهلوان ، ولقد أصبحت الذرة أخطر ما في الوجود عند انشطارها !!

(٨٨) وأمنهن من المهانة والحقارة .

فلا يغررك تجبره وتكبره ، وتفرغته واستطالته .

وفي ذلك أقول شعرا :

ولا تمش فوق الأرض إلا تواضعا      فكس تحتها قوم هم منك أرفنح  
فإن كنت في عزٍّ وجرزٍ ومتعفة      فكس طاح من قوم هم منك أمنع<sup>(٨٩)</sup>

## الغنى والقنوع

قال في الغنى والقنوع :

إن الغنى في القلب ، فمن غنيت نفسه وقلبه غنيت يدها ! ومن افتقر قلبه لم يتفعه  
غناه !

وفي ذلك أقول شعرا :

إذا المرء لم يقنع بشيء فإنه      وإن كان ذا مالٍ من الفقر موقر  
إذا كان فضل الله يغنيك عنهم      فأنت بفضل الله أغنى وأيسر

## الرأى والمشاورة

وقال في الرأى والمشاورة :

إذا استشير نفر أنت أحدهم ، فكن آخر من يشير ...

فإنه أسلم من الصلف<sup>(٩٠)</sup> وأبعد لك من الخطأ وأمكن لك من الفكر  
وأقرب لك من العزم .

وفي ذلك أقول شعرا :

ومن الرجال إذا زكت أحلامهم<sup>(٩١)</sup>      من يستشار إذا استشير قيطرق  
حتى يجول بكلِّ وإد قلبه      فيرى ويعرف مايقول فينطق

(٨٩) المعة : الحصانة .

(٩٠) الصلف : الكبر والزهو على غيره .

(٩١) أحلامهم : عقولهم .

فبذلك يُطْلَق كل أمر مُوثَّق وبذلك يوثق كل أمر مُطْلَق  
إن الحليم إذا تَفَكَّرَ لم يَكْذِبْ يخفى عليه من الأمور الأوفى

## مجالسة أهل الأهواء والبدع

وقال في النهي عن مجالسة أهل الأهواء والبدع ومحدثهم :

أما هذه الأهواء فإنى لم أر أحداً ازداد فيها بصيرة إلا ازداد عمى ا ، لأن  
أمر الله أعزُّ من أن تلحقه العقول .

ولم أر اثنين تكلمتا فيها إلا رأيت لكل واحد منهما حجة ، لا يقدر صاحبه  
على دفعها إلا بالشبهة والمغالطة ، وأما بالنصيحة فلا . ومن غالط في هذا أو  
مثله ، فإنما يغالط نفسه .. وعليها يخلط .. وإياها يخدع .

أو أراد أن يخادع ربه ، والله أعزُّ من أن يُخَدَّعَ لقد بُتِّت أن الله تبارك  
وتعالى أوحى إلى نبيه موسى ﷺ :

لا تجادل أهل الأهواء ؛ فيوقعوا في قلبك شيئا يوردك به إلى النار ا

فهذا أمر نُهي عنه موسى عليه السلام ، وقد أعطى التوراة فيها هدى الله ،  
وقد كلم الله موسى تكليماً . فكيف بغيره من أهل الأهواء .

ولم يزل الصالحون يتناهون عن الهوى والمرء فيه ، والجدل به . ولم أر قياساً  
قطُّ تمَّ ، ولا كلاماً صحَّ ، إلا وفيه كلام بعد كثير . فالسنة أن لا يتكلم في  
شيء من الأهواء بالهوى ، وبغير الاتباع للكتب المنزلة ، والسنن للرسول  
الصادقة .

وفي ذلك أقول شعرا :

إذا أعطى الإنسان شيئاً من الجدل فلم يُعْطِهِ إِلَّا لِكَيْ يَمْتَنَعَ الْعَمَلُ  
وما هذه الأهواء إلا مصائب يُخَصُّ بها أهل التعمُّق والجدل

## النهمة

وقال في النهمة :

إياك والنهمة ؛ فإنها لاترك مودة إلا أفسدتها ولا عداوة إلا جددتها ولا  
جماعة إلا بددتها ولا ضعيفة إلا أوقدتها . ثم لا بد من عرف بها أو نسب إليها  
أن يتحفظ من مجالسته ولا يؤتى بناحيته وأن يزهد في مناقشته وأن يرغب عن  
مواصلته .

وفي ذلك أقول شعرا :

تمشيت فينا بالتميم وإنما يُفسرُق بين الأصفياء التمام  
فلا زلت منسوباً إلى كل آفة ولا زال منسوباً إليك اللوامم

وفي مثله أقول :

كالسيل في الليل لا يدرى به أحد من أين جاء ولا من أين يأتيه ؟  
فالويل للعبد منه كيف ينقصه والويل للعبد منه كيف يليه ؟

## الكلام

وقال : إذا قيل لك : أى شيء أطول ؟ فقل الكلام .

وإذا قيل لك : أى شيء أقصر ؟ فقل الكلام ؛

لأن الكلمة الواحدة قد تكون جواباً لألف كلمة ، وقد يكون جوابها ألف  
كلمة وأكثر .

ولن تدرك الكلام حتى تدره ، ولن تدره حتى تحذره وفي القول خطأ  
كثير ، وبعضه صواب ، وإن الصمت منه لأصوب ، فاترك منه ما لا تنتفع  
بأخذه وخذ منه ما لا تقدر على تركه واسجن لسانك كما تسجن عدوك  
واحذره كما تحذر غائلته .

## تأديب النفس

وقال في تأديب النفس :

إذا أبصرتَ بعضَ ما تكره من غيرِكَ فأسرِعِ الرَّجْعَةَ قبل أن يبصره منك من  
يستريه .

واحمد الله الذي أحسنَ إليك ، وبصركَ عُيُوبَ نَفْسِكَ ، وتبَّهك  
للرجوع من غيِّك .

وإذا أخبرك بعيبك صديق ، قبل أن يخبرك به عدو ، فأحسنِ شكره ،  
واعرف حَقَّهُ ؛ فإن خيرَ العدوِّ تَعْيِيبُ وخيرَ الصديقِ تأديبُ .

وفي ذلك أقول شعرا :

ولن يَهْلِكَ الإنسانُ إلا إذا أتى من الأمر ما لم يَرْضَهُ نصحاؤه

## في الحاسدين

وقال في الحاسدين :

اعلم أنك لن تلقى من الخَيْرِ دَرَجَةَ ، ولن تُبْلَغَ منه مرتبة ولن تنزل منه  
منزلا ، إلا إذا وجدت فيه من يحسدك وإنما الحاسد خصمٌ فلا تجعله حَكَمًا فإنه  
إن حكم لم يحكم إلا عليك وإن قصد لم يقصد إلا إليك وإن دفع لم يدفع إلا  
حَقَّكَ .

وفي ذلك أقول شعرا :

ولو كنت مثل القلح ألفت قاتلا ألا ما لهذا القلح ليس بقمام  
ولو كنت مثل النصل ألفت قاتلا ألا ما لهذا النصل ليس بصارم

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

## الرسالة الثانية

ذكر الحث على إقامة المروءات

ومع ابن جناح خلقنا ..  
في سماء المروءة .. وهناك قالت :  
هات الثانية .. ترى من أين جئت بها ؟  
قلت : من «روضة العقلاء ، ونزهة الفضلاء»  
للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان البستي  
المتوفى سنة ٣٥٤ من الهجرة .. قالت  
أولئك آباءى فجئنى بمثلهم !!  
قلت : لك ماشئت وأكثر !!

لابن حبان البستي





## ذكر الحث على إقامة المروءات

\* حدثنا إسحاق إبراهيم بن إسماعيل القاضي ، وعبد الله بن محمود بن سليمان السعدي قالا : حدثنا عبد الوارث بن عبيد الله العتكي حدثنا مسلم ابن خالد الزنجي عن العلاء بن الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال النبي ﷺ «كريم الرجل دينه ، ومروءته عقله ، وحسبه خلقه» .

\* قال ابو حاتم رضي الله عنه : صرح النبي ﷺ في هذا الخبر بأن المروءة هي العقل : اسم يقع على العلم بسلوك الصواب واجتناب الخطأ .

فالواجب على العاقل : أن يلزم إقامة المروءة بما قدر عليه من الحصول المحمودة ، وترك الخلال المذمومة .

وقد نبغت نابغة أتكلموا على آبائهم ، واتكلوا على أجدادهم ، في الذكر والمروءات ، وبتعدوا عن القيام بإقامتها بأنفسهم .

ولقد أنشدني منصور بن محمد في ذم من هذا نعته :

إن المروءة ليس يدركها امرؤ ورث المروءة عن أب ، فأضاعها  
أمرته نفس بالدنساء والخنا<sup>(٩٢)</sup> ونهته عن طلب العمل فأطاعها  
فإذا أصاب من الأمور عظيمة ينسى الكريم بها المروءة باعها

وأنشداني محمد بن إسحاق :

خساسة أخلاق الرجال تشينهم وقل غناء عنهم النسب المحض<sup>(٩٣)</sup>

(٩٢) الخنا : الفحش في الكلام والميب .

(٩٣) النسب المحض : الخالص المجرد عن اعتبارات أخرى لا يفتى عن صاحبه «يافاطمة بنت محمد ، لا أعنى عنك من الله شيئا» ﴿إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح﴾

يصلون بالآباء في كل مشهد وقد غيّت آباءهم عنهم الأرض  
طويل تبديهم بمجد أبيهم ومالهم في المجد طول ولا عرض<sup>(٩٤)</sup>

وأنشدني الحسين بن أحمد البغدادي :

ليس الكـريم بمن يُدنس عرضه ويرى مروءته تكون بمن مضي  
حتى يشيد بناءه بيتانه ويزين صالح ما أتوه بما أتى<sup>(٩٥)</sup>

قال أبو حاتم رضي الله عنه : ما رأيت أحداً أخسر صفقة ، ولا أظهر حسرة ، ولا  
أخيب قصداً ، ولا أقل رشداً ، ولا أحق شعاراً ، ولا أدنس دناراً<sup>(٩٦)</sup> ، من المفتخر  
بالآباء الكرام وأخلاقهم الجسام ، مع تعرّيه عن سلوك أمثالهم ، وقصد أشباههم ،  
متوهماً أنهم ارتفعوا بمن قبلهم ، وسادوا بمن تقدمهم ، وهيبات أئني يسود المرء على  
الحقيقة إلا بنفسه ؟ وأئني يتبل في الدارين إلا بكده ؟

ولقد أنشدني البسامي :

وكم قائل : إني ابن بيت ، هو ابنة وقد هدم البيت الذي مات عامره  
فأودي عموداه ، ورثت جباله وأصلح أولاه ، وأفسد آخره

وأنشدني الأبرش :

فإن قلت : لي آباء صدق ومنصب كريم وإخوان مضت وجدود  
صدقت ، ولكن أنت هدمت ما بنوا بكفك عمداً ، والبناء جديداً

وأنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

إن لم تكن بفعال نفسك سامياً لم يغن عنك سُمؤ من تسمو به  
ليس القديم على الحديث براجع إن لم تجده آخذاً بتصميمه  
ولربما اقترب البعيد بؤده وغدا القريب مبعداً لقريبه

(٩٤) وعلى المرء أن يكون عصامياً كما يقول القائل :

فس عصام سؤدت عصامياً وعلمته الكسر والإقدام

أما العظاميون الذي يحضرون عظام الآباء فلا وزن لهم بغير عمل يرفع قدرهم .

(٩٥) اللان : أطراف الأصابع ومفردها لانه ، فاصبروا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ﴿ الأنفال :

(١٢) ﴿بئلى قادرين على أن نسوي سانه﴾ (الغياصه : ٢) والمراد بقوله : يتيد بناءه بيناته العمل الحاد بيديه  
وهو محار مرسل من إطلاق الحرة وإرادة الكل .

(٩٦) الدتار : الثوب الذي يسدأ به من فوق الثعار ، وما يعطى به ﴿يا أيها المدثر قم فأندرك﴾ .

\* أنبأنا الحسين بن محمد بن مصعب السنجى حدثنا أبو داود السنجى حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الحسن قال : لا دينَ إلا بمروءة .

## كيفية المروءة

- \* قال أبو حاتم رضى الله عنه : اختلف الناس في كيفية المروءة :
- \* فمن قائل قال : المروءة ثلاثة : إكرام الرجل إخوان أبيه ، وإصلاحه ماله ، وعوده على باب داره (٩٧) .
- \* ومن قائل قال : المروءة : إتيان الحق ، وتعاهد الضيف .
- \* ومن قائل قال : المروءة : تقوى الله ، وإصلاح الضيعة ، والغذاء والعشاء في الألفية .
- \* ومن قائل قال : المروءة : إنصاف الرجل من هو دونه ، والسمو إلى من هو فوقه ، والجزاء بما أتى إليه .
- \* ومن قائل قال : مروءة الرجل : صدق لسانه ، واحتماله عثرات جيرانه ، وبذله المعروف لأهل زمانه ، وكفه الأذى عن أبايده وجيرانه .
- \* ومن قائل قال : إن المروءة : التباعد من الخلق الدنيى فقط .
- \* ومن قائل قال : المروءة : أن يعتزل الرجل الريّة ، فإنه إذا كان مرياً كان ذليلاً ، وأن يُصلح ماله ؛ فإن من أفسد ماله لم يكن له مروءة ، والإبقاء على نفسه في مطعمه ومشربه .
- \* ومن قائل قال : المروءة : حسنُ العشرة ، وحفظُ الفرج واللسان ، وتركُ المرء ما يُعابُ منه .
- \* ومن قائل قال : المروءة : سَخَاوة النفس ، وحسنُ الخلق .

---

(٩٧) يقصد أنه داره مفتوحة ، وهو في حالة تأهب لاستقبال القاصدين ، فلا يستخفى من الناس بخلا ، ولكنه يقعد على باب داره شهامة وكرما .

\* ومن قائل قال : المروءة العِفة والجِرْفة ، أى يَعْفُ عما حرم الله ، ويحترف فيما أحل الله .

\* ومن قائل قال : المروءة : كثرة المال والولد .

\* ومن قائل قال : المروءة : إذا أعطيت شكرت ، وإذا ابتليت صبرت ، وإذا قدرت غفرت ، وإذا وعدت أنجزت .

\* ومن قائل قال : المروءة : حسن الحيلة فى المطالبة ، ورقة الظرف فى المكاتبه .

\* ومن قائل قال : المروءة : اللطافة فى الأمور ، وجوده الفطنة .

\* ومن قائل قال : المروءة : مجانبه الرية ؛ فإنه لا ينبل مُريب ، وإصلاح المال ؛ فإنه لا ينبل فقيرٌ ، وقيامه بمواجب أهل بيته ؛ فإنه لا ينبل من احتاج أهل بيته إلى غيره .

\* ومن قائل قال : المروءة : النظافة ، وطيب الرائحة .

\* ومن قائل قال : المروءة : الفصاحة والسماحة .

\* ومن قائل قال : المروءة : طلبُ السلامة ، واستعطافُ الناس .

\* ومن قائل قال : المروءة : مراعاة العهود ، والوفاء بالعقود .

\* ومن قائل قال : المروءة : التدلل للأحباب بالتملق ، ومداراة الأعداء بالترفق .

\* ومن قائل قال : المروءة : ملاحه الحركة ، ورقة الطبع .

\* ومن قائل قال : المروءة : هى المفاكهة ، والمباسمة :

\* حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا سويد بن سعيد حدثنا مسلم بن عبيد أبو فراس قال : قال ربيعة : المروءة مروءتان : فللسفر مروءة ، وللحضرة مروءة :

فأما مروءة السفر فبذل الزاد ، وقلة الخلاف على الأصحاب ، وكثرة  
اليزاح في غير مسأخط الله .

« وأما مروءة الخضر : فالإذمان إلى المساجد ، وكثرة الإخوان في الله ،  
وقراءة القرآن .

« قال أبو حاتم رضى الله عنه : اختلفت ألفاظهم في كيفية المروءة ، ومعاني  
ماقالوا قرية بعضها من بعض .

والمروءة عندي خصلتان : اجتناب ما يكره الله والمسلمون من الفعل ،  
واستعمال ما يحب الله والمسلمون من الحصل .

وهاتان الخصلتان يأتيان على ما ذكرنا قبل من اختلافهم ، واستعمالها هو  
العقل نفسه ، كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم « إن مروءة المرء عقله » .

## ماذا يعين الإنسان على إقامة المروءة ؟

ومن أحسن ما يستعين به المرء على إقامة المروءة : المال الصالح .

ولقد أنشدني منصور بن محمد الكريزي :

احصل لنفسك أيها المحتال فمن المروءة أن يُرى لك مال  
كم ناطق وسط الرجال ، وإنما عنهم هناك تكلم الأموال (٩٨)

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يُقيم مروءته بما قدر  
عليه ، ولا سبيل إلى إقامة مروءته إلا باليسار من المال ، فمن رُزق ذلك وضنَّ  
بانفاقه في إقامة مروءته فهو اللبى خسر الدنيا والآخرة ، ولا آمن أن تفجأه

---

(٩٨) احصل : الحأ إلى وسائل الكسب الشريف ولا تكسل ، فإذا أخفقت إحدى الوسائل فالجأ إلى أخرى  
في إطار الدين ، فالمال كما يقول شوقي : « يامال ، الدنيا أنت ، والناس حيث كنت » .

ويقول آخر :

فهو اللسان لمن أراد فصاحة وهو السلاح لمن أراد قتالا

المنية فتسلبه عمّامك كريبها ، وتودعه قبرا وحيدا . ثم يرث المال بعد من يأكله ولا يحمده ، وينفقه ولا يشكره ، فأى ندامه تشبه هذه ؟ وأى حسرة تزيد عليها ؟

ولقد أنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

يا جامع المال في الدنيا لو أريته هل أنت بالمال قبل الموت منتفع ؟  
قدّم لنفسك قبل الموت في مهلٍ فإنّ حظك بعد الموت منقطعٌ

\* أنبأنا المفضل بن محمد الجندی — بمكة — حدثنا إسحاق بن إبراهيم الطّبري حدثنا أزهري عن ابن عون عن ابن سيرين قال : ثلاثة ليست من المروءة : الأكل في الأسواق ، والأدهان عند العطار ، والنظر في مرآة الحجّام (٩٩)

\* حدثنا محمد بن إسحاق الثقفي حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقاني حدثنا هُشيم عن مغيرة عن الشعبي قال : ليس من المروءة النظر في مرآة الحجّام .

\* حدثنا محمد بن يحيى بن الحسن العمي ببغداد حدثنا الصلت بن مسعود حدثنا حماد بن زيد حدثنا أيوب قال : سمعت أبا قلابة يقول : ليس من المروءة أن يربح الرجل على صديقه .

وأنشدني البسامي :

اعلم بأنك — لا أبالك — في الذي أصبحت تجمعه لفيرك خازن (١٠٠)  
إنّ المنية لا تؤامر من أتت في نفسه يوما ، ولا تستأذن (١٠١)

\* أنبأنا عمر بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا ابن عائشة عن أبيه قال : كان

يقال : مجالسة أهل الديانة تجلو عن القلب صدأ الذنوب ، ومجالسة ذوى المروءات تدل على مكارم الأخلاق ، ومجالسة العلماء تدكي القلوب .

(٩٩) وما زال أهل المروءة يمحرجون — إلى اليوم — من ممارسة مثل هذا خارج بيوتهم .

(١٠٠) لا أبالك : حملة دعائية تستعمل للبحث والتنبه .

(١٠١) لا تؤامر : لا تنتظر أمره أو إذنه . والمنية الموت .

## آفة المروءة :

\* حدثني محمد بن أبي علي الخلابي حدثنا أبو أحمد بن حماد البربري عن سليمان بن أبي شيخ حدثنا محمد بن الحكم عن عوانة قال : قال معاوية بن أبي سفيان : آفة المروءة إخوانُ السوء .

\* قال أبو حاتم رضي الله عنه : والواجب على العاقل تفقُّد الأسباب المستحقرة عند العوام من نفسه حتى لا يُثَلِّم<sup>(١٠٢)</sup> مروءته ؛ فإن المحقرات من ضد المروءات تؤذي الكامل في الحال بالرجوع في القهقري إلى مراتب العوام وأوباش الناس<sup>(١٠٣)</sup>

## مواطن الذل :

ولقد حدثنا جعفر بن محمد الهمراني — بصور — قال : سمعت طلحة بن اسحاق بن يعقوب قال : سمعت موسى بن إسحاق الأنصاري يقول : سمعت علي بن حكيم الأودي يقول : سمعت شريكاً يقول : ذل الدنيا خمسة : دخول الحمام سَحْراً بلا كرنيب<sup>(١٠٤)</sup> ، وعبور المعبر بلا قطعة ، وحضور مجلس العلم بلا نسخة ، وحاجة الشريف إلى الدني ، وحاجة الرجل إلى امرأته .

حدثنا أبو شعبة الحسن بن محمد الاصطخري حدثنا عبد الرحمن بن محمد ابن منصور ، حدثنا محمد بن عبد العزيز الرملي ، حدثنا رشدين بن سعد ، حدثنا طلحة بن زيد عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : «من قلة مروءة الرجل نظره في بيت الحائك ، وحمله الفلوس في كُمه» .

## والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات



(١٠٢) التلمة في الحائط وغيره : الخلل ، وثُلِّبَ الإناء : كسوته .

(١٠٣) أي أخلاطهم وسفلتهم ووبش الكلام الرديء .

(١٠٤) الطاهر : أنه أراد إناء يعرف به ، وفي مدينة حلب من سوريا يسعمل هذا اللفظ إناء على شكل مخصوص معد لغرف الحمامات من تراب حونه ؛ وذلك حتى لا يلوث الماء ويحسده





## الرسالة الثالثة

معنى المروءة وما يتصل بها

قالت :

كان « ابن حبان » من أئمة رجال

الحديث . قلت : والماوردي

من أئمة الفقهاء ، وهذه الرسالة

إحدى روائع « أدب الدنيا والدين » ..

قالت : أهلا بصاحب التأليف الاسلامية

وأكبر فقهاء الشافعية ، وأبرز رجال

السياسة في الدولة العباسية ..

أهلا بسفير دولته عند بني بويه

قلت : وإنه لسفيرنا إليك

من عند أهلك في البصرة

وبغداد ونيسابور .

لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب المصري الماوردي المتوفى سنة ٤٥٠ هـ



## في المروءة

معنى المروءة : اعلم أن من شواهد الفضل ، ودلائل الكرم : المروءة ، التي هي حلية النفوس ، وزينة الهمم ، فالمروءة مراعاة الأحوال إلى أن تكون على أفضلها<sup>(١٠٥)</sup> حتى لا يظهر منها قبيح عن قصد ، ولا يتوجه إليها ذم باستحقاق . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من عامل الناس فلم يظلمهم ، وحدثهم فلم يكذبهم ، ووعدهم فلم يخلفهم فهو ممن كملت مروءته ، وظهرت عدالته ، ووجبت أخوته » . وقال بعض البلغاء : من شرائط المروءة : أن يتعفف عن الحرام ، ويتصلف<sup>(١٠٦)</sup> عن الآثام ، وينصف في الحكم ، ويكف عن الظلم ، ولا يطمع فيما لا يستحق ، ولا يستطيل على من لا يسترق ، ولا يُعين قويا على ضعيف ، ولا يؤثر دنيا على شريف ، ولا يسر ما يعقبه الوزر والإثم ، ولا يفعل ما يقبح الذكر والاسم .

وسئل بعض الحكماء عن الفرق بين العقل والمروءة ؟ فقال : العقل يأمرك بالأنفع ، والمروءة تأمرك بالأجمل . ولن تجد الأخلاق على ما وصفنا من حد المروءة منطبعة ، ولا عن المراعاة مستغنية ، وإنما المراعاة هي المروءة ، لا ما انطبعت عليه من فضائل الأخلاق ، لأن غرور الهوى ، ونازع الشهوة يصرفان النفس أن تتركب الأفضل من خلائقها ، والأجمل من طرائقها ، وإن سلمت منها ، وبعيد أن تسلم إلا لمن استكمل شرف الأخلاق طبعاً ، واستغنى عن تهذيبها تكلفاً وتطبعاً .

وقال الشاعر :

من لك بالمحضر وليس محضٌ يجبُّ بعضٌ ويطيب بعضٌ

(١٠٥) المراد : أن مراعاة النفس على أفضل أحوالها هي المروءة .

(١٠٦) يتصلف : يرفع .

ثم لو استكمل الفضل طبعا ، وفي المُعَوِّز أن يكون مُسْتَكْمَلًا ، لكان في المستحسن من عادات دهره ، والموضوع من اصطلاح عصره ، من حقوق المروعة وشروطها ، مالا يتوصّل إليه بالمعانة ، ولا يُوقف عليه إلا بالتفقد والمراعاة ، فثبت أن مراعاة النفس على أفضل أحوالها : هي المروعة ، وإذا كانت كذلك ، فليس يتقاد لها مع ثقل كُلفها ، إلا من تسهّلت عليه المشاق ، رغبة في الحمد ، وهانت عليه الملاذ ، حذرا من الذمّ ، ولذلك قيل : سيد القوم أشقاهم .

وقال أبو تمام الطائي :

والحمدُ شهدٌ لا يُرى مُشتارُهُ      يَجْنِيهِ إِلَّا مِنْ تَقْيِيعِ الْخَنْظَلِ (١٠٧)  
غُلٌّ لِحَامِلِيهِ وَيَخْبِيهِ الْبَدَى      لَمْ يُوهِ عَاتِقَهُ خَفِيفَ الْمَخْمَلِ  
وقد لَحِظَ المتنبى ذلك في قوله :

لَوْلَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلَّهُمْ      الْجُودُ يُفْقِرُ وَالْإِقْدَامُ قَبَّالُ  
وله أيضا :

وَإِذَا كَانَتِ النَّفْسُ كِبَارًا      تَعَبَثَ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ  
علو الهمة : والداعى إلى استسهال ذلك شيخان : أحدهما علو الهمة ، والثاني : شرف النفس ، أما علو الهمة ، فلأنه باعث على التقدّم ، وداع إلى التخصيص ، أنفه من حمول الضّعة ، واستنكاراً لمهانة النقص ، ولذلك قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « إن الله يحبّ معاليّ الأمور وأشرفها ، ويكره دَئِبِهَا وَسَفْسَافِهَا » . ورؤى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : لا تصعرون هممكم ، فإنى لم أر أقعد عن المكرمات من صيغر الهمم . وقال بعض الحكماء : الهمة راية الجّد . وقال بعض البلغاء : علو الهمم بذر النعم . وقال بعض العلماء : إذا طلب رجلان أمرا ، ظفّر به أعظمهما مُروءة . وقال بعض العلماء : من ترك التماس المعالى بسوء الرجاء ، لم ينل جسيما .

(١٠٧) يقال : شَرَّبْتُ العسلَ : جنيته ، والمشار : الحاقى .. ويقال إن منه أخذت المشورة فقد شبه حس النصيحة بشرب العسل .

شرف النفس : وأما شرف النفس ، فإن به يكون قبول التأديب واستقرار التقويم والتهذيب ، لأن النفس ربما جمحت عن الأفضل وهى به عارفة ، ونفرت عن التأديب وهى له مستحسنة ، لأنها عليه غير مطبوعة ، وله غير ملائمة ، فتصير منه أنفر ، ولضدّه الملائم آثر وقد قيل : ما أكثر من يعرف الحق ولا يطيعه ! وإذا شُرُفت النفس كانت للآداب طالبة ، وفي الفضائل راغبة ، فإذا مازجها صارت طبعاً ملائماً ، فنا واستقرّ ، فأما من مُنِيَ بعلو الهمة وسلب شرف النفس ، فقد صار عُرضة لأمر أعوزته آتته ، وأفسدته جهالته ، فصار كضرب يروم تعلم الكتابة ، وأخترسَ يريد الخطبة ، فلا يزيد الاجتهاد إلا عجزاً ، والطلب إلا عوزاً ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما هلك امرؤ عَرَفَ قدره » .

وقيل لبعض الحكماء : مَنْ أسوأ الناس حالاً ؟ قال : من بُعدت هيمته ، واتسعت أمنيته ، وقصرت آتته ، وقلّت مقدرته (١٠٨) .

#### وقال أفنون الثعلبي :

ولا خيرَ فيما يكذبُ المرءُ نفسهً وتقولُه للشيءِ ياليت ذالِيا (١٠٩)  
لعمرك ما يدري امرؤ كيف يتقى إذا هو لم يجعل له الله واقياً  
وقال بعض الحكماء : تجنبوا المئى ، فإنها تذهب بيهجة ما تحولم ، وتستصفرون بها نعمة الله عليكم .

وقيل في بشور الحكم ، المئى من بضائع التوكى (١١٠) ، فإن صادف بهيمته حظاً نال به أملاً ، كان فيما ناله كالمغتصب ، وفيما وصل إليه كالمغلب ، إذ ليس في المخطوط تقدير لحق ولا تمييز لمستحق ، وإنما هى كالسحاب الذى قد تمسك عن منابت الأشجار ، إلى مغاوص البحار ، وينزل حيث صادف من خبيث وطيب ، فإن صادف أرضاً طيبة نفع ، وإن صادف أرضاً خبيثة ضرر ، كذلك الخط إن صادف نفساً شريفة نفع ، وكان نعمة عامة ، وإن صادف نفساً دنية ضرر ، وكان نقمة طائفة .

(١٠٨) من أمثال أولئك الذين يعيشون سعداء بأحلام اليقظة .

(١٠٩) تقولوا له : قوله . ذالياً . هذا لى . فما نيل المطالب بالتمنى .

(١١٠) التوكى : جمع أتوك على وزن أنور وهو الأحمق .

حُكِيَ أن موسى بن عمران عليه السلام دعا على قوم بالعذاب ، فأوحى إليه : قد ملكْتُ سِيفَتَهَا عَلَيَّ عَلَيَّتَهَا ، فقال : يارب ، كنت أحبُّ لهم عذابا عاجلا ، فأوحى الله تعالى إليه : أليس هذا كلُّ العذاب العاجل الأليم ؟ !

فأما شرف النفس إذا تجرد عن علو الهمة ، فإن الفضل به عاطل ، والقدر به حامل ، وهو كالقوة في الجَلْد<sup>(١١١)</sup> الكَسِيل ، والجبان الفَشِيل ، تضيع قُوته بكسله ، وجَلْدُه بفشله ، وقد قيل في منشور الحكم : من دام كسله ، خاب أمره ، وقال بعض الحكماء : نكح العجز التواني فخرج منهما الندامة ، ونكح الشؤم الكسل فخرج منها الحرمان . وقال بعض الشعراء :

إذا أنت لم تعرف لنفسك حَقَّهَا هواناً بها كانت على الناس أهوناً  
ففسدك أكرمها وإن ضاق مسكنٌ عليك لها فاطلب لنفسك مسكناً  
وإياك والسكنى بمنزل ذلِّة يُعدُّ مُسيئاً فيه من كان مُخميناً

وشرف النفس مع صغر الهمة أولى ، من علو الهمة مع دناءة النفس ، لأن من علت همته مع دناءة نفسه ، كان متعدياً إلى طلب مالا يستحقه ، ومتخطياً إلى التماس مالا يستوجبه ، ومن شرفت نفسه مع صغر همته ، فهو تارك لما يستحق ، ومقصر عما يجب له ، وفضل ما بين الأمرين ظاهر وإن كان لكل واحد منهما من الدم نصيب .

وقد قيل لبعض الحكماء : ما أصعبُ شيء على الإنسان ؟ قال : أن يعرف نفسه ، ويكتم الأسرار ، فإذا اجتمع الأمران ، واقرن بشرف النفس علو الهمة ، كان الفضل بها ظاهراً ، والأدب بهما وافرًا ، ومشاقِّ الحمد بينهما مُسهلة ، وشروط المروعة بينهما متينة . وقد قال الحصين بن المنذر الرقاشي :

إن المروعة ليس يدركها امرؤ ورث المكارم عن أب فأضاعها  
أمرئُهُ نفسٌ بالدنائة والحناء ونهشه عن سبِّل العُلا فأطاعها  
فإذا أصاب من المكارم حَلَّة يبنى الكريمُ بها المكارم باعها

(١١١) الجَلْد : القوي .

حقوق المروءة : واعلم أن حقوق المروءة أكثر من أن تُحصَى ، وأخفى من أن تظهر ، لأن منها ما يقوم في الوهم حساً ، ومنها ما يقتضيه شاهد الحال حَدْساً<sup>(١١٢)</sup> ، ومنها ما يظهر بالفعل ، ويخفى بالتغافل ، فلذلك أعوز استيفاء شروطها ، إلا جُمَلاً يتنبه الفاضل لها ليقظته ، ويستدل العاقل عليها بفطرتة ، وإن كان جميع ماتضمنه كتابنا هذا من حقوق المروءة وشروطها محصوراً في تقسيم جامع ، وهو ينقسم قسمين :

أحدهما شروط المروءة في نفسه . والثاني شروطها في غيره .  
فأما شروطها في نفسه بعد التزام ما أوجبه الشرع من أحكامه ، فيكون بثلاثة أمور : وهي العفة ، والنزاهة ، والصيانة .

## العفة

فأما العفة فنوعان : أحدهما العفة عن المحارم والثاني العفة عن المآثم ، فأما ضبط الفرج عن الحرام ، فلأن عدمه مع وعيد الشرع وزاجر العقل ، مَعْرَةٌ فاضحة وهتكة واضحة ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من وَقَى شَرَّ ذَبَذِبَهُ وَلَقَلَقَهُ وَقَبَّقِبَهُ فَقَدْ وَقَى » يُريد بذبذبه : الفرج ، ويلقلقه : اللسان ، ويقبقبه البطن ورؤى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أحبّ العفاف إلى الله تعالى عفاف الفرج والبطن » وحكى أن معاوية رضى الله عنه سأل عمراً عن المروءة ، فقال : تقوى الله تعالى ، وصلة الرحم .

وسأل المغيرة فقال : هي العفة عما حرم الله تعالى ، والجرفة فيما أحل الله تعالى وسأل يزيد فقال : هي الصبر على البلوى ، والشكر على النعمى ، والعفو عند القدرة . فقال معاوية : أنت منى حقا .

وقال أنوشروان لابنه هرْمُز : من الكامل المروءة ؟ فقال : من حصن دينه ، ووصل رحمه ، وأكرم إخوانه . وقال بعض الحكماء : من أحب المكارم ، اجتنب المحارم . وقيل : عار الفضيحة يكدرها لذتها .

(١١٢) الحدس : الظن المؤكد . المصباح المير .

وقد أنشدني بعض أهل الأدب ، للحسن بن علي رضي الله عنهما :  
الموت خير من ركوب العارِ والعار خير من دخول النارِ  
والله من هذا وهذا جارِ

والداعي إلى ذلك شيان : أحدهما : إرسال الطُّرف<sup>(١١٣)</sup> ، والثاني : اتباع الشهوة ، وقد روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه « يا علي لا تتبع النظرة النظرة ، فإن الأولى لك ، والثانية عليك » وفي قوله : لا تتبع النظرة النظرة تأويلان :

أحدهما : لا تتبع نظرَ عينيك نظرَ قلبك .

والثاني : لا تتبع الأولى التي وقعت سهوا بالنظرة الثانية التي تُوقعها عمدا .

وقال عيسى ابن مريم عليه السلام : إياكم والنظرة بعد النظرة ، فإنها تزرع في القلب الشهوة ، وكفى بها لصاحبها فتنة . وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : العيونُ مصائدُ الشيطان . وقال بعض الحكماء : من أرسل طرفه ، استدعى حتفه . وقال بعض الشعراء :

وكنت متى أرسلت طرفك رائدا لقلبك يوما أتبعك المناظرُ  
رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابرُ

وأما الشهوة فهي خادعة العقول ، وغادرة الألباب ، ومُحَسِّنة القبائح ، ومُسولة الفضائح ، وليس عَطَبٌ إلا وهي له سبب وعليه ألب ، ولذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام : « أربع مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ، وَحُفِظَ مِنَ الشَّيْطَانِ : مَنْ مَلَكَ نَفْسَهُ حِينَ يَرْغَبُ ، وَحِينَ يَرْهَبُ وَحِينَ يَشْتَمِي ، وَحِينَ يَغْضِبُ » .

وقهرها عن هذه الأحوال ، يكون بثلاثة أمور :

أحدهما : غض الطُّرف عن إثارتها ، وكفه عن مساعدتها ، فانه الرائد المحرك ، والقائد المُهْلِك . رَوَى سَعِيدُ بْنُ سَيَانَ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، عَنْ

(١١٣) الطرف : النظر .



النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « تقبلوا إليّ بسبّ أتقبل إليكم بالجنة ، قالوا : وما هي يا رسول الله ؟ قال : إذا حدث أحدكم فلا يكذب ، وإذا وعد فلا يخلف وإذا أؤثمن فلا يخون ، غَضُّوا أبصاركم ، واحفظوا فروجكم ، وكفوا أيديكم » .

والثاني : ترغيبها في الحلال عوضا ، وإقناعها بالمباح بدلا ، فإن الله ما حرّم شيئا إلا وأغنى عنه . بمباح من جنسه ، لما علمه من نوازع الشهوة ، وتركيب الفطرة ، ليكون ذلك عوننا على طاعته ، وحاجزا عن مخالفته .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ما أمر الله تعالى بشيء ، إلا وأعان عليه ، ولا نهى عن شيء إلا وأغنى عنه .

والثالث : إشعار النفس تقوى الله تعالى في أوامره ، واتقاؤه في زواجره ، والزامها ما ألزم من طاعته ، وتحذيرها ما حذر من معصيته ، وإعلامها أنه لا يخفى عليه ضمير ، ولا يعزب عنه قطمير ،<sup>(١١٤)</sup> وأنه يجازى المحسن ويكافئ المسيء ، وبذلك نزلت كتبه ، وتبّلت رسله .

روى ابن مسعود أن آخر ما نزل من القرآن : ﴿ وَالْقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ، ثُمَّ نُوفَى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾<sup>(١١٥)</sup> . وآخر ما نزل من التوراة : « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » وآخر ما نزل من الإنجيل : « شرُّ الناس من لا يبالي أن يراه الناس مُسيئا » . وآخر ما نزل من الزبور : « من يزرع خيرا يحصد زرعه غبطة » فإن أشعرها ما وصفت ، انقادت إلى الكف ، وأذعنت بالانقضاء ، فسلم دينه ، وظهرت مُروءته ، فهذا شرط .

وأما كف اللسان عن الأغراض ، فلأن عدمه ملاذ السفهاء ، وانتقام أهل العوغاء وهو مستسهل الكُلف . وإذا لم يقهر نفسه عنه برادع كافٍ وزاجر صادق تلبّط بمعاره وتخبّط بمضاره . وظن أنه لتجاني الناس عنه جُمى يتقى ،

(١١٤) القطمير القشرة الرقيقة على النواة كاللغافة لها . ولا يعزب لاييب ولاخفى والمقصود أنه يعلم ماخى وماظهر سبحانه .

(١١٥) النقرة : ٢٨١

ورتبة تُرتقى : فهلك وأهلك .. فلذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم « ألا إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم » ، فجمع بين الدم والعرض لما فيه من إيغار الصدور . وإبداء الشرور . وإظهار البذاء . واكتساب الأعداء ، ولا يبقى مع هذه الأمور وزن لموموق<sup>(١١٦)</sup> ، ولا مروءة للحوظ ، ثم هو بها موتور موزور ، ولأجلها مهجور مزجور .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « شرّ الناس من أكرمه الناس اتقاءً لسانه » .

وقال بعض الحكماء : إنما هلك الناس بفضول الكلام ، وفضول المال . وما قدح في الأعراض من الكلام نوعان : أحدهما : ما قدح في عرض صاحبه ، ولم يتجاوز إلى غيره ، وذلك شيطان : الكذب ، وفحش القول والثاني : ما تجاوزه إلى غيره ، وذلك أربعة أشياء : الغيبة ، والنميمة والسعاية ، والسب ، بقذف أو شتم ، وربما كان السب أنكاها للقلوب وأبلغها أثرا في النفوس ، ولذلك زجر الله عنه بالحدّ تغليظا ، وبالتفسيق تشديدا وتصعيبا ، وقد يكون ذلك لأحد شيئين : إما انتقام يصدر عن سفه ، أو بذاء يحدث عن لؤم . وقد روى أبو سلمة عن أبي هريرة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « المؤمن غير كريم ، والفاجر يحبّ لئيم<sup>(١١٧)</sup> » . وقال ابن المقفع : الاستطالة لسان الجهالة ، وكف النفس عن هذه الحال بما يصدّها من الزواجر أسلم ، وهو بذى المروءة أجمل ، فهذا شرط .

أما العفة عن المآثم فنوعان :

أحدهما : الكف عن المجاهرة بالظلم ، والثاني : زجر النفس عن الإسرار بخيانة .

فأما المجاهرة بالظلم فعُتُو مهلك ، وطُغيان مُثْلِف ، وهو يقول إن استمرّ إلى فتنة أو جلاء ، فأما الفتنة في الأغاب فتُحيط بصاحبها ، وتنعكس على البادىء

(١١٦) الموموق : المهور .

(١١٧) العير : الشاب الذي لاحرة له . والمقصد : طيبة قابه . والحب : الخادع .

بها ، فلا تنكشف إلا وهو بها مصروع ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾<sup>(١١٨)</sup> . وَرَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « الْفِتْنَةُ نَائِمَةٌ ، فَمَنْ أَيْقَظَهَا صَارَ طَعَامًا لَهَا » .

وقال جعفر بن محمد : الفتنه حصاد للظالمين . وقال بعض الحكماء : صاحب الفتنه أقرب شيء أجلا ، وأسوأ شيء عملا .

وقال بعض الشعراء :

وكنت كعنز قامت لَحَفْهَها إلى مديّة تحث الثرى تستيرها<sup>(١١٩)</sup>

وأما الجلاء : فقد يكون من قوة الظالم ، وتطاول مدته ، فيصير ظلمه مع المُكْتَبَةِ جلاء وفناء ، كالنار إذا وقعت في يابس الشجر ، فلا تبقى معها مع تمكثها شيئا ، حتى إذا أُنْفِثَ ما وجدت ، اضمحلّت وحمدت ، فكذا حال الظالم ، مُهْلِكٌ ثم هالك ، والباعث على ذلك شيخان : الجراءة والقسوة ، ولذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام : « اطلبوا الفضل والمعروف عند الرّحماء من أمتي ، تعيشوا في أكنافهم » والصادُّ عن ذلك : أن يَرَى آثار الله تعالى في الظالمين ، فإن له فيهم عبرا ، ويتصوّر عواقب ظلمهم ، فإن فيها مُزْدَجْرًا . وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أصبح ولم يَتَوَّظَّظْمْ أَحَدٌ ، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا اجْتَرَمَ » . وَرَوَى جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا عَلِيُّ ، اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهُ إِذَا سَأَلَ اللَّهَ حَقَّهُ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمْنَعُ ذَا حَقٍّ حَقَّهُ » . وَقِيلَ فِي مَنْشُورِ الْحِكْمِ : وَيَلُ لِلظَّالِمِ مِنْ يَوْمِ الْمَظْلَمِ . وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ : مَنْ جَارَ حُكْمَهُ ، أَهْلَكَهُ ظَلْمُهُ . وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

وما من يد إلا يد الله فوقها ولا ظالم إلا سيئسى بظالم

(١١٨) فاطر : ٤٣ .

(١١٩) وفي المثل دسعت إلى حنفيها بظلفها .

وأما الإسرار بالخيانة فضعة ، لأنه يذل الخيانة مهين ، ولقلة الثقة به مستكين . وقيل في منشور الحكم : من يخن يهن . وقال خالد الربيعي : قرأت في بعض الكتب السالفة : أن مما تُعجل عقوبته ولا تؤخر ، الأمانة تُخان ، والإحسان يُكفر ، والرحم تُقطع ، والبغى على الناس ؛ ولو لم يكن من ذم الخيانة إلا ما يجده الخائن في نفسه من المذلة ، لكفاه زاجرا ، ولو تصور عُقبى أمانته ، وجدوى ثقته ، لعلم أن ذلك من أرباح بضائع جاهه ، وأقوى شعفاء تقدمه ، مع ما يجده في نفسه من العز ، ويقابل عليه من الإعظام . وقد روى عن النبي ﷺ أنه قال : «أد الأمانة إلى من ائتمك . ولا تُخن من خانك» ورَوَى سعيد بن جبیر قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنُ إِذَا تَأَمَّنَ بِقَنْطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ ، وَمِنْهُمْ مَنُ إِذَا تَأَمَّنَ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا : لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾<sup>(١٢٠)</sup> يعنون أن أموال العرب حلال لهم ، لأنهم من غير أهل الكتاب . قال رسول الله ﷺ : «كذب أعداء الله ! ما من شيء كان في الجاهلية إلا وهو تحت قدمي ، إلا الأمانة ، فإنها مؤداة إلى البرِّ والفاجر» . ولا يجعل ما يظاهر به من الأمانة زورا ، ولا ما يديه من العفة غرورا ، فينهتك الزور ، وينكشف الغرور فيكون مع هتكه للتدليس أقبح ولمعة الرياء أفضح . وقد روى عن النبي ﷺ أنه قال : «لا تزال أمتي بخير ما لم تر الأمانة مغنا ، والصدقة مفرما» وقال بعض الحكماء من الخمس أربعا بأربع الخمس مالا يكون : من الخمس الجزاء بالرياء ، الخمس مالا يكون ؛ ومن الخمس مودة الناس بالغلظة ، الخمس مالا يكون ؛ ومن الخمس وفاء الإخوان بغير وفاء ، الخمس مالا يكون ؛ ومن الخمس العلم براحة الجسد ، الخمس مالا يكون .

والداعي إلى الخيانة شيطان : المهانة ، وقلة الأمانة ، فإذا حسمها عن نفسه بما وصفت ، ظهرت مروءته . فهذا شرط قد استوفينا فيه أقسام العفة .

(١٢٠) آل عمران : ٧٥ .

## النزاهة

وأما النزاهة فنوعان : أحدهما : النزاهة عن المطامع الدنية . والثاني : النزاهة عن مواقف الرّيبة . فأما المطامع الدنية ، فلان الطمع ذل ، والدناءة لؤم ، وهما أذفع شيء للمروءة وقد كان النبي ﷺ يقول في دعائه : اللهم إني أعوذ بك من طمع يهدى إلى طبع .

وقال بعض الشعراء :

لا تخضعن مخلوق على طمع فإن ذلك نقص منك في الدين  
واسترزق الله مما في خزائنه فإنما هو بين الكاف والنون

والباعث على ذلك شيطان : الشره ، وقلة الأنفة ، فلا يقنع بما أوتي وإن كان كثيرا ، لأجل شرهه ، ولا يستنكف مما مُنِع وإن كان حقيرا ، لقلة أنفته . وهذه حال من لا يرضى لنفسه قدرا ، ويرى المآل أعظم خطرا ، فيرى بذل أهون الأمرين لأجلهما معنما ، وليس لمن كان المال عنده أجل ، ونفسه عليه أقل إصغاء لتأنيب ، ولا قبول لتأديب . ورؤى أن رجلا قال يارسول الله أوصني . قال : «عليك باليأس مما في أيدي الناس ، وزيك والطمع ، فإنه فقر حاضر . وإذا صلّيت صلاة فصل صلاة مؤدّع ، وإياك وما يُعْتَدِر منه» .

وقال بعض الشعراء :

ومن كانت الدنيا منسأة وهمئة سبّته المنى واستعبدته المطامع

وحسم هذه المطامع شيطان : اليأس ، والقناعة . وقد روى عبد الله بن مسعود ، عن النبي ﷺ أنه قال : «إن رُوح القدس نفث في روعي : أن نفسا لن تموت حتى تستوفى رزقها ؛ فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ، ولا يحملنكم إبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعاصي الله تعالى ، فإن الله عز وجل لا يلدرك ما عنده إلا بطاعته» . فهذا شرط .

وأما مواقف الريية فهي التردد بين منزلتي حَمْد ، والوقوف بين حالتى سلامة وسقم ، فتوجه إليه لائمة المتوهمين ، وبناله ذلة المُرييين ، وكفى بصاحبها موقفا ، إن صح افتضح ، وإن لم يصحَّ امتُهَن . وقد قال النبي ﷺ : «دع ما يُرِيك إلى ما لا يُرِيك» . وسُئل محمد بن عليّ عن المروءة ؟ فقال : ألا تعمل في السرِّ عملا تستحي منه في العلانية . وقال حسان بن أبي سنان : ما وجدت شيئا هو اهون من الورع . قيل له : وكيف ؟ قال : إذا ارتبكت بشيء تركته .

والداعي إلى هذه الحال شيان : الاسترسال ، وحسن الظن . والمانع منهما شيان : الحياء والحذر . وربما انتفت الريية بحسن الثقة ، وارتفعت التهمة بطول الخبرة . وقد حُكي عن عيسى بن مريم عليه السلام : أنه رآه بعض الحواريين ، وقد خرج من منزل امرأة ذات فجور ، فقال : يا رُوحَ الله ماتصنع هنا ؟ فقال الطيب إنما يداوى المرضى . ولكن لا ينبغي أن يجعل ذلك طريقا إلى الاسترسال ، وليكن الحذر عليه أغلب ، وإلى الخوف من تصديق التهم أقرب ، فما كل ريية ينقيها حسن الثقة . هذا رسول الله ﷺ ، وهو أبعد خلق الله من الرّيب ، وأصوئهم من التّهم ، وقف مع زوجته صفية ذات ليلة على باب المسجد يحادثها ، وكان معتكفا ، فمرَّ به رجلان من الأنصار ؛ فلما رآياه أسرعا ، فقال لهما : على رسليكما ، إنها صفية بنت حُيى . فقالا : سبحان الله ! أوفيك شكك يا رسول الله ؟ فقال مَهْ : إن الشيطان يجرى من أحدكم مجرى لحمه ودمه ، فخشيت أن يُقذِف في قلوبكما سوءاً فكيف من تخالجت فيه الشكوك ، وتقابلت فيه الظنون ؟ فهل يعرَى في مواقف الريب من قادح محقق ، ولائم مصدق . وقد روى عن النبي ﷺ أنه قال : «إذا لم يَشق المرء إلا بما عمل ، فقد سَعده» . وإذا استعمل الحزم ، وغلب الحذر ، وترك مواقف الرّيب ، ومظانّ التهم ، ولم يقف موقف الاعتذار ، ولا عُذرٍ لختار ، لم يَحْتلج في نزاهته شك ، ولم يقدر في عرضه إفك .

وقد قال الشاعر :

أصونك أن أدلّ عليك ظننا لأن الظن مفتاح اليقين

وقال سهل بن هارون : مُؤنة المتوقّف ، أيسر من تكلف المتعسّف . وقال بعض الحكماء : من حسن ظنه بمن لا يخاف الله تعالى فهو مخدوع .  
وأشادني بعض أهل الأدب ، لأبي بكر الصُّولي رحمه الله ، قوله :

أحسنك ظني بأهلِ دهرِي فحسنُ ظنِّي بهم دهماني  
لا آمنُ الناسَ بعدَ هذا ما الخوفُ إلا من الأمانِ  
فهذا شرط استوفينا فيه توَعى النزاهة

## الصيانة

وأما الصيانة ، وهي الثالث من شروط المروءة فنوعان . أحدهما : صيانة النفس بالتماس كفايتها ، وتقديم مادتها ، والثاني : صيانتها عن تحمّل الجَمَن ، والاسترسال في الاستعانة ، فأما التماس الكفاية ، وتقديم المادة ، فلأن المحتاج إلى الناس كلّ مهتضم<sup>(١٢١)</sup> ، وذليل مستقل ، وهو إما فطر عليه محتاج إلى ما يستمده ، ليقم أودّ نفسه ، ويدفع ضرورة وقته ، ولذلك قالت العرب في أمثالها : كلبٌ جَوّال خير من أسد رابض وما يستمده نوعان : لازم وتذب . فأما اللازم فما قام بالكفاية ، وأفضى إلى سدّ الخلة ؛ وعليه في طلبه ثلاثة شروط :

أحدها : استطابته من الوجوه المباحة ، وتوقى المحظورة ، فإن المواد المحرّمة مستخبثة الأصول ، محبوبة المحصول ، إن صرّفها في برّ لم يؤجّر ، وإن صرفها في مدح لم يشكر ، ثم هو لأوزارها محتقّب ، وعليها معاقب . وقد قال رسول الله ﷺ : « لا يعجبك رجل كسب مالا من غير جُلّه ، فإن أنفقه لم يُقبل منه ، وإن أمسكه فهو زاده إلى النار » . شر المال مالزملك إثم مكسبه ، وحُرِّمت أجزّ إنفاقه .

(١٢١) كَلّ : سَعف . لا يقام له وزك ولا يعمل له حساب .

ونظر بعض الخوارج إلى رجل من أصحاب السلطان يتصدق على مسكين ، فقال : انظر إليهم حسناتهم من سيئاتهم . وقال علي بن الجهم :  
سَرَّ مَنْ عَاشَ مَالَهُ فَإِذَا حَا سَبَّهَ اللَّهُ سَرَّهُ الْإِعْدَامُ  
والثاني : طلبه من أحسن جهاته ، التي لا يلحقه فيها غَضٌّ ، ولا يتدنس له بها عِرْضٌ ؛ فإن المال يراد لصيانة الأعراس ، لا لا بتدالها ، ولعز النفوس ، لا لإدلالها وقال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه : يا حبذا المأل أصون به عرضي ، وأرضى به ربي .

وقال أبو بشر الضرير :

كَفَى حَزْنَا أَلْسَى أَرُوْحُ وَأَغْتَدِي وَمَالِي مِنْ مَالِ أَصُونٍ بِهِ عِرْضِي  
وَأَكْثَرُ مَا أَلْقَى الصَّدِيقُ بِمَرْحَبٍ وَأَذَلُّكَ لَا يَكْفِي الصَّدِيقُ وَلَا يُرْضِي  
وسئل ابن عائشة عن قول النبي ﷺ : «اطلبوا الخواص من جسام الوجوه» ، فقال : معناه من أحسن الوجوه التي تحل .

والثالث : أن يتأني في تقدير مادته ، وتدبير كفايته ، بما لا يلحقه خَلَلٌ ، ولا يناله زَلَلٌ ، فإن يسر المال مع حسن التقدير وإصابة التدبير أجدى نفعا ، وأحسن موقعا ، من كثيره مع سوء التدبير وفساد التقدير ، كالبذر في الأرض ، إذا رُوغى يسيره زكا ، وإن أُعْمِلَ كثيره اضمحل وقال محمد بن علي رضى الله عنه : الكمال في ثلاثة : العفة في الدين ، والصبر على النوائب ، وحسن التدبير في المعيشة . وقيل لبعض الحكماء : فلان غني ، فقال : لا أعرف ذلك ، مالم أعرف تدييره في ماله .

فإذا استكمل هذه الشروط فيما يستمدّه من قدر الكفاية ، فقد أدى حق المروءة في نفسه . وسئل الأحنف بن قيس عن المروءة فقال : العفة والجرفة . وقال بعض الحكماء لابنه : يا بني ، لا تكن على أحد كَلًّا ، فإنك تزداد ذُلًّا ، واضرب في الأرض عَوْدًا وَبَدْعًا ، ولا تأسف لمال كان فذهب ، ولا تمنع عن الطلب لو صب ولا نصب ، (١٢٢) ، فهذا حال اللازم . وقد كان ذوو الهمم

(١٢٢) الوصب : الوجع والمرص . والصب الثعب .



العَلِيَّة ، والنفوس الأبية ، يرون ماوصل إلى الإنسان كسبا ، أفضل مما وصل إليه إرثا ، لأنه في الإرث في جَدْوَى غيره ، وبالكسب مُجِدِّ إلى غيره ، وفرق ماينهما في الفضل ظاهر . وقال كشاجم :

لا أسئلُ العيشَ لم أدأب له طلبا وستقيا في الهواجر والغلس<sup>(١٢٣)</sup> وأرى حَرَاما أن يُؤَاتيني الغنى حتى يحاول بالعناء ويُتَمَسَّ فاصرف نوالك عن أخيك مُوقِّسرا فالليث ليس يُسبيغ إلا ماالتسرس وأما الندب فهو : مافضل عن الكفاية ، وزاد على قدر الحاجة ، فإن الأمر فيه معتبر بحال طالبه ، فإن كان ممن تقاعد عن مراتب الرؤساء ، وتقاصر عن مطاولة النظراء ، وانقبض عن منافسة الأكفاء ، فحسبه ماكفاه ، فليس في الزيادة إلا شره ، ولا في القُصُول إلا تهم ، وكلاهما مدموم . وقد قال النبي ﷺ : وخير الرزق مايكفي ، وخير الذكر الحفي .

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : الدنيا ككل على العاقل . وقال عبد الله بن مسعود : المستغنى عن الدنيا بالدنيا ، كمطفيء النار بالتبن . وقال بعض الحكماء : اشتر ماء وجهك بالقناعة ، وتسلى عن الدنيا بتجافيا عن الكرام . فإن كان ممن مئى بعلو المم ، وتحركت فيه أريحية الكرم ، وآثر أن يكون رأسا مقدا ، وأن يُرى في النفوس مُعْظَما ومفحما ، فالكفاية لا تُقَلِّه حتى يكون ماله فاضلا ، ونائله<sup>(١٢٤)</sup> فائضا ؛ فقد قيل لبعض العرب : ما المروءة فيكم ؟ قال : طعام مأكول ، ونائل مبدول ، وبشر مقبول . وقد قال الأحنف بن قيس :

فلو مُدَّ سَرْوِي بِمال كثير لَجُدْتُ وكنث له باذلا<sup>(١٢٥)</sup>  
فإن المروءة لا تستطاع إذا لم يكن مالها فاضلا

(١٢٣) الهواجر : جمع هاجرة شدة الحر حين يهجر الناس الشوارع ويستكنون في البيوت والغلس : طلحة آخر الليل .

(١٢٤) نائله : عطاؤه وكرمه وبذله .

(١٢٥) السرو : الفضل والسخاء في المروءة .

وأما صيانتها عن تحمل المِثْن ، والاسترسال في الاستعانة ، فلأن المِثْنَة استرقاق الأحرار ، تُحَدِّث ذلّة في الممنون عليه ، وسَطْوَة في المانّ ، والاسترسال في الاستعانة تثقيل ، ومن تُقَلُّ على الناس هان ، ولا قدر عندهم لمهان .

وقال رجل لعمر رضى الله عنه : خَدَمَكَ بَنُوك ، فقال : أَغْنَانِي اللهُ عَنْهُمْ .  
وقال عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه لابنه الحسن ، فى وصيته : يابتنى إن استطعت ألا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل ، ولا تكن عبد غيرك ، وقد جعلك الله حُرّاً ، فإن اليسير من الله تعالى أكرم وأعظم من الكثير من غيره ، وإن كان كلّ منه كثيراً . وقال زياد لبعض الدهاقين<sup>(١٢٦)</sup> : ما المروءة فيكم ؟ قال : اجتناب الرّيب ، فإنه لا يُثْبَل مُريب ، وإصلاح الرجل ماله ، فإنه من مُروءته ، وقيامه بحوائجه وحوائج أهله ، فإنه لا يُثْبَل مَنْ احتاج إلى أهله ، ولا من احتاج أهله إلى غيره . وأنشد ثعلب :

مَنْ عَفَّ حَفَّ عَلَى الصَّدِيقِ لِقَاؤُهُ وَأَخْسَوِ الْحَوَائِجَ وَجَهْهُ مَمْلُوءٌ  
وَأَخْوَكُ مَنْ وَقَّرتْ مَالِي كَيْسَهُ فَإِذَا عَجِبْتُكَ بِهِ فَأَنْتَ ثَقِيلٌ

وإن كان الناس لُحْمَةً لا يستغنون عن التعاون ، ولا يستقلون عن المساعد والمُظافر ، فإنما ذلك تعاون التلاف ، يتكافئون فيه ولا يتفاضلون ، وربما كان المستعين فيه مفضّلاً ، والمعين مستفضّلاً ، كاستعانة السلطان بجنده ، والمزارع بأكرته ، فليس من هذا بدّ ، ولا لأحد عنه غنى ؛ وإنما الذى يتصوّن عنه الكرام ، تعاوّن التفضيل ، فينقبضون عن أن يستعينوا ، لئلا يكون عليهم يد ، ويُسارعون أن يعينوا ، لأن يكون لهم يد ؛ ومن أقدم من غير اضطرار على الاستعانة بجاه أو بمال ، فقد أوْهَى مروءته ، واستبدل صيانته ، ومن دعاه الاضطرار لنائب ألم ، أو حادث هَجَم إلا الاستعانة بمن يتنفس به من خِناق كربه ، ويتخلّص به من وثاق نوائبه ، فلا لوم على مضطرّ ، فإن أُغْتته الاستعانة بالجاه ، عن الاستعانة بالمال ، فلا عُذْر له فى التعرّض للمال ، ويعيدل إلى وُلاة الأمور ، فإن الحوائج عندهم أنجح ، وهى عليهم أسهل ، وهم لذلك

(١٢٦) الدهاقين جمع دهقان وهو رئيس الإقليم بضم الدال وكسرهما .

مندوبون ، فهم لا يجنون لهم مساويا ، وأيصِرْنَ على إبطائهم ، فإن تراكم  
الأمر عليهم يشغلهم ، إلا عن الملح الصبور ، ولذلك قيل : قدم لحاجتك  
بعض لحاجتك . وقال أبو سارة سُبْحِم بن الأعرف :

تَعُدُّ قَرَابَةَ وَتُعَدُّ صِهْرًا وَيُسْتَعَدُّ بِالْقَرَابَةِ مَنْ رَعَاهَا  
وَمَا زُرْنَاكَ مِنْ عَدَمٍ وَلَكِنْ يَهْشُ إِلَى الْإِمَارَةِ مَنْ رَجَاهَا  
وَأَيُّهَا مَا فَعَلْتُ فَإِنَّ نَفْسِي تَعُدُّ صِلَاخَ نَفْسِكَ مِنْ غِنَاهَا

فإن تعذر عليه صلاح حاله إلا بما يستعين به على نوائبه ، كان له مع  
الضرورة فسحة ، لكن إن وجدته قرضاً مردوداً ، لم يأخذه صلة وجوداً ، فإن  
القرض مستسمح به في المروءات . هذا رسول الله ﷺ ، مع ما أعلی الله من  
قدره وفضله على خلقه ، قد اقترض ، ثم قضى فأحسن . وقال ﷺ : «من  
أعياه رزق الله تعالى خللاً ، فليستدين على الله وعلى رسوله» . وقال ﷺ :  
«المستدين تاجر الله في أرضه» .

وقال البحرى :

إِنْ لَمْ يَكُنْ كُتْرَ فِكْلٍ عَطِيَّةٍ يَلْبَغُ بِهَا بَاغِي الرِّضَا بَعْضُ الرِّضَا  
أَوْ لَمْ يَكُنْ هَبَةً فَمَقْرُضٌ يُسْرَتُ أَسْبَابُهُ ، وَكَوَاهِبٌ مِنَ الرِّضَا  
وَلَكِنْ كَانَ الدِّينَ رِقًّا ، فَهُوَ أَسْهَلُ مِنْ رِقِّ الْإِفْضَالِ . وَقَدْ رَوَى عَنْ عَلِيٍّ  
ابْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : مَنْ أَرَادَ الْبَقَاءَ وَلَا بَقَاءَ ، فَلْيَاكِرِ الْعُدَاءَ ،  
وَلْيَخْفِ الرِّدَاءَ . قِيلَ : وَمَا خِيفَةُ الرِّدَاءِ مِنَ الْبَقَاءِ ؟ قَالَ : قِلَّةُ الدِّينِ ، فَإِنْ  
أَعْوَزَهُ ذَلِكَ إِلَّا اسْتَمْنَحَا ، فَهُوَ الرِّقُّ الْمَذَلُّ ، وَلِلذَلِكَ قِيلَ : لَا مُرْوَعَةَ لِمَقِيلٍ .  
وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَنْ قَبِلَ صِلَتَكَ فَقَدْ بَاعَكَ مُرْوَعَتَهُ ، وَأَذَلَّ لِقَدْرِكَ عِزَّهُ  
وَجَلَالَتَهُ .

والذى يتماسك به الباقي من مروعة الراغبين ، واليسير التافه من صيانة  
السائلين ، وإن لم يبق لذي رغبة مروعة ، ولا لسائل تصون : أربعة أمور ، هي  
جهد المضطر :

أحدها : أن يتجافى ضَرَع السائلين ، وأبْهة المستقلين ، فيذَل بالضَّرَع ، ويُحَرَم بالأبْهة ، وليكن من التَّجْمُل على ما يقتضيه حال مثله من ذوى الحاجات . وقد قيل لبعض الحكماء : متى يَقُحُّش زوال النعم ؟ قال : إذا زال معها التَّجْمُل .

وأشد بعض أهل الأدب لعلَى بن الجَهْم :

هِيَ النَّفْسُ مَا حَمَلَتْهَا تَحَمُّلٌ      وَلِلدَّهْرِ أَيَّامٌ تَجُورُ وَتَعْدِلُ  
وَعَاقِبَةُ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ جَمِيلَةٌ      وَأَحْسَنُ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ التَّسْفُؤُ  
وَلَا عَارَ إِنْ زَالَتْ عَنِ الْحَرِّ نَعْمَةٌ      وَلَكِنْ عَارًا أَنْ يَزُولَ التَّجْمُؤُ

والثاني : أن يقتصر في السؤال على مادعته إليه الضرورة ، وقادته إليه الحاجة ، ولا يجعل ذلك ذريعة إلى الاعتنام ، فيحرَم باغتنامه ، ولا يعذر في ضرورته . وقد قال بعض الحكماء : من أَلَفَ المسألة أَلَفَهُ المنع .

والثالث : أن يُعْذِر في المنع ، ويشكر على الإجابة ، فإنه إن مُنِعَ فعَمَّا لا يملك ، وإن أُجِيبَ فإلى مالا يستحق . فقد قال الحر بن تَوَلَّب :

لَا تُعْضِبَنَّ عَلَيَّ امْرِيءَ فِي مَالِهِ      وَعَلَى كِرَائِمِ صُلْبِ مَالِكَ فَاغْضَبِ

والرابع : أن يعتمد على سؤال من كان للمسألة أهلا ، وكان النجح عنده مأمولا ، فإن ذوى المُكْنة كثير ، والمعين منهم قليل . ولذلك قال النبي ﷺ :  
«الخير كثير ، وقليل فاعله» .

والمرجو للإجابة من تكاملت فيه خصاها ، وهى ثلاث :

إحداهن : كرم الطبع ، فإن الكريم مساعد ، واللقيم معاند . وقد قيل :  
المخذول من كانت له إلى اللغام حاجة . والثانية : سلامة الصدر ، فإن العدو  
أَلَّبَ على نكبتك ، وحرب في نائبتك . وقد قيل : من أَوْغَرَّتْ صدره ،  
استدعيت شره ؛ فإن رَقَّ لك بكرم طبعه ، ورحمك بحسن ظفِّره ، فأعْظِمَ بها  
محنة : أن يصير عدوك لك راحما .

وقد قال الشاعر :

وحسبك من حادث بامرئى ترى حاسديسه له راحينا ا

والثالث : ظهور المُكَيِّتة ؛ فإن من سأل مالا يمكن فقد أحال ، وكان كمتتهض المسجون ، ومستسيعف المديون ، وكان بالردّ خليقا ، وبالحرمان حقيقا . وقد قال على كرم الله وجهه : (مَنْ لا يعرف «لا» حتى يقال له «لا» ، فهو أحمق) ووصى عبد الله بن الأهم ابنه فقال : يا بنى لا تطلب الخوائج من غير أهلها ، ولا تطلبها في غير حينها ، ولا تطلب مالست له مستحقا فإنك إن فعلت ذلك كنت حقيقا بالجُرمان .

وقال الشاعر :

ولا تسألنّ امرأ حاجئةً يحاول من ربهها مثلها  
فيسرك ما كنت حمتسه ويتبدا بمحاجته قبلها

فهذا ما يختص بشروط المروءة في نفسه .

## شروط المروءة في غيره

وأما شروط المروءة في غيره فتلاثة : المؤازرة ، والمياسرة ، والإفضال : أما المؤازرة فنوعان : أحدهما : الإسعاف بالجاه . والثاني : الإسعاف في النوائب .

فأما الإسعاف بالجاه ، فقد يكون من الأعلى قدرا ، والأنفذ أمرا ، وهو أرخص المكارم ثمنا ، وألطف الصنائع موقعا ، وربما كان أعظم من المال نفعا ، وهو الظل الذي يلجأ إليه المضطرون والجمى الذي يأوى إليه الخائفون ، فإن أوطأه<sup>(١٢٧)</sup> اتسع بكثرة الأنصار والشيخ ، وإن قبضه<sup>(١٢٨)</sup> انقطع بنفور الغاشية والتبّع ، فهو بالبذل يتبى وي زيد ، وبالكف ينقص ويبيد ، فلا عذر لمن منيح جاها أن يبخل به ، فيكون أسوأ حالا من البخيل بماله ، الذي قد يُعده لنوائبه ، ويستبقه للذته ، ويكيزه لذريته . وبضد ذلك من بخل بجاهه ، لأنه قد

(١٢٧) أوطأه : مهده وسهله .

(١٢٨) قبضه : سببه وأسكه .

أضاعه بالشح ، وبدده بالبخل ، وحرّم نفسه غنيمة مكتّبه ، وفرصة قدرته ، فلم يُعقبه إلا ندما على فائت ، وأسفا على ضائع ، ومقتنا يستحكم في النفوس ، وذما قد يتتشر في الناس وقد رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال : «الخلق كلهم عيال الله ، وأحب خلق الله تعالى إليه ، أحسنهم صنيعا إلى عياله» . وقال بعض الحكماء : اصنع الخير عند إمكانه يبق لك حمده عند زواله ، وأحسن والدولة لك ، يُحسن لك والدولة عليك ؛ واجعل زمان رخائك ، عُدّة لزمان بلائك .

وقال بعض البلغاء : من علامة الإقبال ، اصطناع الرجال . وقال بعض الأدباء : بذل الجاه أحد الجبائين .

وقال ابن الأعرابي : العرب تقول : من أمل شيئا هابه ، ومن جهل شيئا عابه . وبذل الجاه قد يكون من كرم النفس ، وشكر النعمة ، وضده من ضده ، وليس بذل الجاه لالتماس الجزاء بدلا مشكورا ، وإنما هو بائع جاهه ، ومعاوض على نعم الله تعالى وآلائه ، فكان بالذم أحق .

وأُنشد بعض الأدباء لعلّى بن عباس الرومي ، رحمه الله :  
لا تبذل العُرف حين تبدلُ كمشترى الحمد أو كمتراضيه  
بل تفعل العُرف حين تفعلُهِ جواهر العُرف لا لأعراضه (١٢٩)  
وعلى من أسعد بجاهه ثلاثة حقوق ، يستكثر بها الشكر ، ويستمدّ بها المزيد من الأجر :

أحدّها : أن يستسهل المعونة مسرورا ، ولا يستثقلها كارها ، فيكون بنعم الله تعالى متبرّما ، وإلحسانه متسخطا ؛ فقد رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال : «من عظمت نعمة الله تعالى عليه ، عظمت مؤنة الناس عليه» . فمن لم يحتمل تلك المؤنة ، عرض تلك النعمة للزوال .

---

(١٢٩) الجواهر : ما قام بنفسه ، والعرض : ما قام بغيره ، وجواهر الشيء ذاته وحقيقته والعرض صفته المتغيرة .

والثاني : مجانية الاستطالة ، وترك الامتنان ، فإنهما من لؤم الطبع ، وضيق الصدر ، وفيها هدم الصنيع وإحباط الشكر. وقد قيل للحكيم اليوناني : من أضيئ الناس طريقا ، وأقلهم صديقا ؟ قال : من عاشر الناس بعبوس وجهه ، واستطال عليهم بنفسه .

والثالث : ألا يقرن بمشكور سعيه تقريرا بذنب ، ولا توبيخا على مَفْوة ، فلا يفي مَضَض التوبيخ ، بإدراك التُّجَح ، وبهيمير الشكر وَجُدا<sup>(١٢٠)</sup> ، والحمد عيا ؛ ولذلك قال النبي ﷺ : «أقبلوا ذوى الهيئات<sup>(١٢١)</sup> عَثْرَاتِهِمْ» .

وقال النابغة الجعدي :

ألم تعلموا أن الملامة نفعها قليل إذا ما الشيء ولى فأدبرا  
وأما الإسعاف في النوائب ، فلأن الأيام غادرة ، والنوازل عائرة<sup>(١٢٢)</sup> ، والحوادث عارضة ، والنوائب راکضة ؛ فلا يَغْنِر فيها إلا عليم ، ولا يستنقذه منها إلا سليم .

وقد قال عدى بن حاتم :

كفى زاجراً للمرء أيام دهره تروخ له بالواعظات وتفتدي  
فإذا وجدَّ الكريم مصابا بحوادث دهره ، حثه الكرم ، وشكر النعم ، على الإسعاف فيها بما استطاع سبيلا إليه ، ووجدَّ قدرة عليه . روى عن النبي ﷺ أنه قال : «خير من الخير معطيه ، وشر من الشر فاعله» . وقيل لبعض الحكماء : هل شيء خير من الذهب والفضة ؟ قال : مُعْطِيهما .

والإسعاف في النوائب نوعان : واجب ، وتبرع . فأما الواجب فما اختص بثلاثة أصناف وهم : الأهل ، والإخوان ، والجيران .

أما الأهل فلمماسة الرحم ، وتعاطف النسب ، وقد قيل : لم يسُد من احتاج أهله إلى غيره .

(١٢٠) رجدا : غضبا .

(١٢١) أى أهل المروءات والمخصال الحميدة . والذين يلزمون سمنا حسنا .

(١٢٢) عائرة : مهلكة . وفي المخطوطة عائرة ، وفي منهاج اليقين : غائرة . ولعلها تحريف .

وقال حسان بن ثابت :  
وإنَّ امرأً نالَ المُنَى لم يَنلْ به قريبا ولا إذا حاجة لزهيد  
وإنَّ امرأً عادى الرجالَ على الفنى ولم يسأل الله الفنى لحسود  
وأما الإخوان فلمُستحکم التودد ، ومتأكد العهد .

وسئل الأحنف بن قيس عن المروءة فقال : صدق اللسان ، ومواساة  
الإخوان ، وذكر الله تعالى في كل مكان . وقال بعض حكماء الفرس : صفة  
الصديق أن يئذل لك ماله عند الحاجة ، وتفسه عند النكبة ، ويحفظك عند  
المغيب . ورأى بعض الحكماء رجلين يصطحبان لايفترقان ، فسأل عنهما ،  
فقال : هما صديقان ، فقال : ما بال أحدهما فقير ، والآخر غنى .

وأما الجار فلدنوّ داره ، واتصال مزاره ؛ قال على كرم الله وجهه : ليس  
حسن الجوار كفّ الأذى ، بل الصبر على الأذى . وقال بعض الحكماء : من  
أجار جاره ، أعانه الله وأجاره وقال بعض البلغاء : من أحسن إلى جاره ، فقد  
دلّ على حسن نجاره .

وقال بعض الشعراء :  
وللجار حقٌّ فاحرز من أذاتيه وما خيرُ جارٍ لم يزل لك مؤذيا  
فيجب في حقوق المروءة ، وشروط الكرم في هؤلاء الثلاثة ، تحمل  
أثقالهم ، وإسعافهم في نوائبهم ، ولا فسحة لدى مروءة عند ظهور المُكنة ، أن  
يكلّمهم إلى غيره ، أو يلجئهم إلى سؤاله ، وليكن السائل عنهم كرمُ نفسه ،  
فإنهم عيال كرمه ، وأضياف مروءته ، فكما أنه لايجسن أن يُلجئ عياله  
وأضيافه إلى الطلب والرغبة ، فهكذا من عاله كرمه ، وأضافته مروءته .

وقال بعض الشعراء :  
حقٌّ على السيد المرجو نائله والمستجار به في العرب والعجم  
ألا يُنيل الأفاصي صوب راحته حتى يخلص به الأدنى من الخدم  
إن الفرات إذا جاشت غواربُه روى السواحل ثم امتد في الأمم



وأما التبرع فقيمنا عدا هؤلاء الثلاثة ، من البعداء الذين لا يُدُلُّون بنسب ، ولا يتعلَّقون بسبب ، فإن تبرع بفضل الكرم ، وفائض المروءة ، فنهض في حوادثهم ، وتكفل بنوائبهم ، فقد زاد على شروط المروءة ، وتجاوزها إلى شروط الرياسة . وقيل لبعض الحكماء : أى شيء من أفعال الناس يشبه أفعال إلهه ؟ قال : الإحسان إلى الناس .

وإن كَفَّ تشاغلا بما لزم فلا لوم ، ما لم يلجأ إليه مضطر ، لأن القيام بالكل مُعَوِّز ، والتكفُّل بالجميع متعَدِّر ، فهذا حكم المُؤَاوِزَة .

## المياسرة نوعان

أحدهما : العفو عن الهفوات .

الثاني : المسامحة في الحقوق .

فأما العفو عن الهفوات ، فلأنه لا مبرأ من سهو وزلل ، ولا سليم من نقص أو تحلل ، ومن رام سليما من هفوة ، والتمس بريئا من نبوة ، فقد تعدى على الدهر بشططه ، وخادع نفسه بغلظه ، وكان من وجود بغيته بعيدا ، وصار باقتراحه قَرِدا وحيدا . وقد قالت الحكماء : لا صديق لمن أراد صديقا لا عيب فيه وقيل لأنوشيروان : هل من أحد لا عيب فيه ؟ قال : من لاموت له . وإذا كان الدهر لا يوجد ما يطلب ، ولا ينيله ما أحب ، وكان الوحيد في الناس مرفوضا قصيًّا والمنقطع عنهم وحشيا ، لزمه مساعدة زمانه في القضاء ، ومياسرة إخوانه في الصفح والإغضاء . روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : «إن الله تعالى أمرني بمداراة الناس ، كما أمرني بأداء الفرائض» . وقال بعض الأدباء : ثلاث خصال لا تجتمع إلا في كريم حسن الخضر ، واحتمال الزلة ، وقلة الملل .

وقال ابن الرومي :

فقدرك مبسوط لذنبٍ مقسّمٍ      وودّك مقبولٌ بأهلٍ ومزحِبٍ  
ولو بلغتني عنك أذنبِي أقمْتُها      لدى مُقامِ الكاشحِ المتكذبِ (١٣٣)  
فلسْتُ بتقليبِ اللسانِ مُصارِماً      خليلاً إذا ما القلبُ لم يتقلبِ (١٣٤)

وإذا كان الإغضاء حتماً ، والصفح كرماً ، تَرْتَّب بِحَسَبِ المَفْوَةِ ، وتَنَزَّل بِقَدْرِ الذَّنْبِ والمَفْوَاتِ نوعان : صغائر وكبائر . فالصغائر مغفورة ، والنفوس بها معذورة ، لأن الناس مع أطوارهم المختلفة ، وأخلاقهم المتفاضلة لا يسلمون منها ، فكان الوجد فيها مُطْرَحاً ، والعتب مستقبِحاً . وقد قال بعض العلماء : من هجر أخاه من غير ذنب ، كان كمن زرع زرعاً ، ثم حصده في غير أوانه .

وقال أبو العتاهية :

وشر الأَخْـلَاءِ مَنْ لَمْ يَزَلْ      يعبأبُ طَوْرًا وطُـورًا يَدُمُ  
يريك النصيحةَ عند اللقَاءِ      ويثيريك في السرِّ برئ القَلَمِ

وأما الكبائر فنوعان : أن يهفو بها خاطباً ، وَيَزِلُّ بِهَا سَاهِيًا ، فالخروج فيها مرفوع ، والعتب عليها موضوع ؛ لأن هفوة الخاطيء هذر ، ولومه هذر . وقال بعض الحكماء : لاتقطع أخاك إلا بعد عجز الحيلة عن استصلاحه . وقال الأحنف بن قيس : حقُّ الصديق أن تحمل له ثلاثاً : ظلم العَضَبِ ، وظلم الدَّالَّةِ ، وظلم المَفْوَةِ : وحكى ابن عَوْنُ أن غلاماً هاشمياً عَرَبِدَ عَلَى قوم ، فأراد عمه أن يسىء به ، فقال : يا عم ، إني قد أسأت وليس معي عقلِي ، فلا تُسِئْ بِي ومعك عقلك .

وقال أبو نواس :

لَمْ أُرَاحِمْكَ إِذْ جَنَيْتَ لِأَنِّي      واثقُ منك بالإخفاءِ الصحيحِ  
فجميلُ العدوِّ غيرُ جميلِ      وقبيحُ الصديقِ غيرُ قبيحِ

(١٣٣) الكاشح : العدو الباطن العداوة ، والمنكذب : الذي لا يصدق والمراد أنه لا يصدق أذنه ثقة به .  
(١٣٤) مصارماً : مقاطعاً .

فإن تشبّه خطوّه بالعمد ، وسهوه بالقصد ، كثبت ، ولم يلمّ بالتوهم فيكون ملوماً ، ولا يلوم به من فيصير مذموماً ؛ ولذلك قيل : التبت نصف العفو . وقال بعض الحكماء : لا يفسدك الظن على صديق أصلحك اليقين له .

وقال بعض شعراء هذيل :

فبعض الأمر تصلحُه ببعض فإن السفت يحملُه السمين  
ولا تفجّل بظنك قبل تحبّر فعند السحر تقطع الظنون  
تري بين الرجال العين فضلاً وفيما أضمروا الفضل المين  
كلون الماء مشتبهاً وليست تحبّر عن مذاقته الغيون

والثاني : أن يعتمد ما اجترم من كيائره ، ويقصد ما اجترح من سيئاته ولا يخلو فيما أتاه من أربع أحوال :

فالحال الأولى : أن يكون متوراً ، قد قابل على وتره ، وكافاً على مساءة ، فاللائمة على من وتره عائده ، وإلى البادى .<sup>(١١٥)</sup> راجعة ؛ لأن المكافاة أعدل ، وإن كان الصفح أجمل ؛ ولذلك قال النبي ﷺ : «إياكم والمشاراة ، فإنها تميت العرة ، وتمحي العرة»<sup>(١١٦)</sup> وقال بعض الحكماء : من فعل ماشاء ، لقي مالم يشأ . وقال بعض الأدباء : من نالته إساءة ثك ، همته مساءة ثك . وقال بعض البلغاء : من أوجع بقبح المناطة ، أوجع بقبح المقابلة .

وقال صالح بن عبد القدوس :

إذا وكرت امرأ فاحذر عداوتك من يزرع الشوك لا يحصد به عنبها  
إن العبد وإن أبسدى مسالمة إذا رأى منك يوماً فرصة وثبها

والإغضاء عن هذا أوجب ، وإن لم تكن المكافاة ذنباً ؛ لأنه قد رأى عقيبى إساءته ، فإن واصل الشر واصلته المكافاة وقد قيل : باعتزالك الشر بعترلك ، وبحسن النصفة يكثر الواصلون . وقال بعض الحكماء : من كنت السبب لبلائه ، وجب عليك التلطف له في علاجه من دائه .

(١٣٥) العرة : بياض في جبهة الفرس والمراد أنها تقتل في الإنسان سماحة الوجة وحسن اللقاء : أما العرة بالكسر فهي الحديدية . أما المشاراة فهي الخاصة والمجادلة .

وقد قال أوس بن حَجْر :

إذا كنت لم تُعرض عن الجهل والحقِّ أصبت حليماً أو أصابك جاهلٌ

والحال الثانية : أن يكون عدواً قد استحكمت شخناًؤه ، واستوعرت سراًؤه ، واستخشنت ضراًؤه ، فهو يترئص بدوائر السوء انتهازاً فُرصه ، ويتجرع لِمهانة العجز مرارة غُصصه ، فإذا ظفر بنائبة ساعدها ، وإذا شاهد نعمة عاندها ، فالبعد منه حذراً أسلم ، والكف عنه مُتاركة أغنم ، فإنه لا يُسلم من عواقب شره ، ولا يُفلت من غوائل مكره . وقد قالت الحكماء : لا تُعرضنَّ لعدوك في دولته ، فإذا زالت كُفيت شره . وقال لقمان لابنه : يا بني كذب من قال : إن الشرَّ بالشرِّ يطفأ . فإن كان صادقاً فليوقد نارين ولينظر : هل تُطفئُ إحداهما الأخرى ؟ وإنما يُطفئُ الخيرُ الشرَّ ، كما يطفئُ الماء النار . وقال جعفر بن محمد : كفاك من الله نصراً أن ترى عدوك يعصي الله فيك . وقال بعض الحكماء : بالسيرة العادلة يُفهر المعادي .

وقال البحتري :

وأقسيم لا أجزيك بالشرِّ مثله كفى بالذي جازيتي لك جازياً

الحال الثالثة : أن يكون لئيم الطبع ، خبيث الأصل ، قد أغراه لؤم الطبع ، على سوء الاعتقاد ، وبعثه خبث الأصل على إثارة الفساد ، فهو لا يستقبح الشرَّ ، ولا يكف عن المكروه . فهذه الحال أعظم ؛ لأن الأضرار بها أعم ، ولا سلامة من مثله إلا بالبعد والانقباض ، ولا خلاص منه إلا بالصفح والإعراض ؛ فإنه كالسبع الضاري في سوارح الغنم ، وكالنار المتأججة في يابس الخطب ، لا يقربها إلا تالف ، ولا يدنو منها إلا هالك .

رَوَى مكحول عن أبي أمامة رضى الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : «الناس كشجرة ذات جنى ، ويوشك أن يعودوا كشجرة ذات شوك ، إن ناقدتهم ناقدوك ، وإن هربت منهم طلبوك ، وإن تركتهم لم يتركوك . قيل : يارسول الله ، وكيف الخرج ؟ قال : أقرضهم من عرضك ليوم فافتك» . وقال عبد الله بن العباس : العاقل الكريم صديق كل أحد إلا من ضره ،

والجاهل اللئيم عدو كل أحد إلا من نفعه . وقال : شر ما في الكريم أن يمنعك خيره ، وخير ما في اللئيم أن يكف عنك شره ؟ وقال بعض البلغاء : أعداؤك : داؤك ، وفي البعد عن شفاؤك . وقال بعض البلغاء : شرف الكريم ، تغافلته عن اللئيم .

ووصى بعض الحكماء ابنه . فقال : إذا سلم الناس منك ، فلا عليك ألا تسلم منهم ، فإنه كلما اجتمعت هاتان نعمتان .

وقال عبد المسيح بن عمرو بن ببيعة :

الخير والشر مقرونان في قرن فالخير مستبغ والشر محذور

والحال الرابعة : أن يكون صديقا قد استحدث ثبوة وتغيرا ، أو أخا قد استجد جفوة وتنكرا ، فأبدى صفحة عقوقه ، واطرح لازم حقوقه ، وعدل عن بر الإخاء إلى جفوة الأعداء . فهذا قد يعرض في المودات المستقيمة ، كما تعرض الأمراض في الأجسام السليمة ، فإن عولجت أقلعت ، وأن أهملت أسقمت ثم أتلفت . ولذلك قالت الحكماء : دواء المودة : كثرة التعاهد .

وقال كشاجم :

أقبل ذا الود عثرته وقفه على ستن الطريق المستقيمة  
ولا تسرع بمغيبه إليه فقد يفسد وينتبه سليمه

ومن الناس من يرى أن متاركة الإخوان إذا نفروا أصلح ، واطراحهم إذا فسدوا أولى ، كأعضاء الجسد : إذا فسدت كان قطعها أسلم ، فإن شح بها سرث إلى نفسه ، كالثوب إذا خلقت ، كان اطراحه بالجديد له أجمل . وقد قال بعض الحكماء : رغبتك فيمن يزهد فيك ذل نفس ، وزهدك فيمن يرغب فيك صغر همة . وقد قال بزرجمهر : من تغير عليك في مودته . فدعه حيث كان قبل معرفته .

وقال نصر بن أحمد الخبزازي :

صبل من دنا وتناس من بعدا لا تكربهن على الهوى أحدا  
قد أكثر حواء إذ ولست إذا جفا ولد فخد وكدا

وهذا مذهب من قل وفاؤه ، وضُعب إخاؤه ، وساءت طرائقه ، وضاعت  
 خلائقه ، ولم يكن فيه فضل الاحتمال ، ولا صبر على الإدلال ، فقابل على  
 الجفوة ، وعاقب على الهفوة ، واطَّرح سالف الحقوق ، وقابل العقوق  
 بالعقوق ، فلا بالفضل أخذ ، ولا إلى العفو أخذ ، وقد علم أن نفسه قد  
 تغطى عليه فترديه ، وأن جسمه قد يَسَقَم عليه فيؤله ويؤذيه ، وهما أخصَّ به ،  
 وأحنى عليه من صديق قد تميز بذاته ، وانفصل بأدواته ، فيريد من غيره  
 لنفسه ، مالا يجده من نفسه لنفسه . هذا عين الحال ، ومَحْضُ الجهل ، مع أن  
 من لم يحتمل بقى فردا ، وانقلب الصديق فصار عدوا ، وعداوة من كان  
 صديقا أعظم من عداوة من لم يزل عدوا . ولذلك قال النبي ﷺ : «أوصاني  
 ربي بسبع : الإخلاص في السرِّ والعلانية ، وأن أعفو عمن ظلمني ، وأعطى  
 من حرمني ، وأصل من قطعني ، وأن يكون صمتي فكرا ، ونطقي ذكرا ،  
 ونظري عبرة» وقال لقمان لابنه : يا بُنَيَّ ، لا تترك صديقك الأول ، فلا يطمئن  
 إليك الثاني . يا بُنَيَّ ، اتخذ ألفَ صديق ، والألف قليل ، ولا تتخذ عدوا  
 واحدا ، والواحد كثير ، وقيل للمهلب بن ابي صفرة : ماتقول في العفو  
 والعقوبة ؟ قال هما بمنزلة الجود والبخل ، فتمسك بأيهما شئت .

وأنشد ثعلب :

إذا أنت لم تستقبل الأمر لم تجد بكفيك في إداره متعلِّقا  
 إذا أنت لم تهرك أخاك ورزلة إذا زلها أو شكمتما أن تفرقا

فإذا كان الأمر على ما وصفت ، فمن حقوق الصفح ، الكشف عن سبب  
 الهفوة ، ليعرف الداء فيعالجه ، فإن من لم يعرف الداء ، لم يقف على الدواء .

كما قد قال المتنبي :

فإن الجرح يتعمَّر بعد حين إذا كان البناء على فساد (١٣٦) .

وإذا كان ذلك كذلك ، فلا يخلو حال السبب ، من أن يكون لِمَلَلٍ أو  
 زَلَلٍ ، فإن كان لِمَلَلٍ ، فمرادات الملول ظلُّ الغمام ، وحُلْمُ النَّيَامِ . وقد قيل

(١٣٦) ينغر : يفسد . أو يسيل دمه . وفي بعض النسخ : ينفر : أي يورم بعد البرء .

في منشور الحكم : لا تأمنن للول وإن تحلى بالصلة ، وعلاجه أن يُترك على مَلَّه ، فيمَلُّ الجفاء ، كما مَلَّ الإخاء .

وإن كان لزلل لُوحظت أسبابه ، فإن كان لها مَدْخَل في التأويل ، وشبهة تتول إلى جميل ، حملة على أجمل تأويل ، وصرفه إلى أحسن جهة . كالذي حُكِيَ عن خالد بن صفوان ، أنه مرَّ به صديقان له ، فعرج عليه أحدهما ، وطواه الآخر . فقيل له في ذلك ، فقال : نعم ، عرج علينا هذا بفضلته ، وطوانا ذلك بثقته بنا .

وتزعم للواشين ألسى فاسد عليك ، وأنى لسْتُ فيما عهدتني ومافسدت لي يعلمُ الله نيةً عليك ولكن خُتنتي فاهممتني غدرك بعهدى عامداً وأخفتني فخصت ولو آمنتني لأمنتني

وإن لم يكن لزلله في التأويل مَدْخَل ، نظر حاله بعد زلله ؛ فإن ظهر ندمه ، وبان تحججه ، فالندم توبه ، والحجج إنباه ، ولا ذنب لتائب ، ولا لوم على مُنيب ، ولا يكلف عُذرا عما سلف ، فيلجأ إلى ذل التحريف ، أو خجل التعنيف . ولذلك قال النبي ﷺ : «إياكم والمعاذر، فإن أكثرها مفاجر» . وقال عليّ رضي الله عنه : كفى بما يُعْتَدَرُ منه تُهمة . وقال مسلم بن قتيبة لرجل اعتذر إليه : لا يدعوك أمر قد تخلصت منه ، إلى الدخول في أمر لعلك لا تخلص منه . وقال بعض الحكماء : شفيح المذنب إقراره ، وتوبته اعتذاره وقال بعض البلغاء : من لم يقبل التوبة عظمت خطيئته ومن لم يحسن إلى التائب ، قبحت إساءته . وقال بعض الحكماء : الكريم من أوسع المغفرة ، إذا ضاقت بالذنب المعذرة .

وقال بعض الشعراء :

العذرُ يلحقهُ التحريفُ والكسبُ وليسَ في غير مايرضيك لي أربُ  
وقد أسأتُ فبالثُغْمَى التي سلفتُ إلا متسنتُ بعضو ماله سببُ

وإن عَجَل العُذر قبل توبته ، وقدم التنصل قبل إنابته فالعذر توبة ، والتنصل إنباه ، فلا يكشف عن باطن عُذره ، ولا يُعَنِّف بظاهر عُذره ،

فيكون لئيم الظفر ، سئىء المكافأة . وقد قيل : مَنْ غلبته الجِدَّة ، فلا تغتبر بمودته . وقال بعض الحكماء : شافع للذنب خضوعه إلى عُذره .

وقال بعض الشعراء :

إِقْبَلْ مَعَاذِيرَ مَنْ يَأْتِيكَ مَعْتَذِرًا    إِنْ بَرَّ عِنْدَكَ فِيمَا قَالَ أَوْ فَجَّرَا  
فَقَدْ أَطَاعَكَ مِنْ يَرْضِيكَ ظَاهِرُهُ    وَقَدْ أَجَلَّكَ مِنْ يَغْصِيكَ مُسْتَجِرَا

وإن ترك نفسه في زلله ، ولم يتداركه بُعْذره وتنصُّله ، ولا يحاه بتوبته وإنابته ، راعيت حاله في المشاركة ، فستجده لايتفك فيها من أمور ثلاثة :

أحدها : أن يكون قد كف عن سئىء عمله ، وأقلع عن سالف زلله ؛ فالكف لإحدى التوبتين ، والإقلاع أحد العُذرين ، فكن أنت المعتذر عنه بصفحك ، والمتنصِّل له بفضلك . فقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : الحسين على المسئء أمير .

والثاني : أن يكون قد وقف على ما أسلف من زلله ، غير تارك ولا متجاوز ، فوقوف المرض أحد البُئرين ، وكفه عن الزيادة لإحدى الحُسنيين ، وقد استبقى بالوقوف عن التجاوز أحد شطريه . فعول به على صلاح شطره الآخر ، وإياك وإرجاءه ، فإن الإرجاء يفسد شطر صلاحه ، والتلافى يُصلح شطر فساده ، فإن من سقم من جسمه ما لم يُعالجه ، سرى السقم إلى صحته ، وإن عالجته سرت الصحة إلى سقمه .

والثالث : أن يتجاوز مع الأوقات ، فيزيد فيه على مرور الأيام . فهذا هو الداء العُضال ، فإن أمكن استدراكه ، وتأتى استصلاحه وذلك باستنزاله عنه إن علا ، وإبرغابه إن دنا ، وبعثابه إن ساوى ، وإلا فأخّر الداء العياء الكئى . ومن بَلَّغَتْ به الأعدار إلى غايتها ، فلا لائمة عليه ، والمقيم على شقاؤه باغ مصروع . وقد قيل : من سلَّ سيف البغى : أغمده في رأسه ، فهذا شرط .

وأما المسامحة في الحقوق ، فلأن الاستيفاء مُوحش ، والاستقصاء منفر . ومن أراد كل حقه من النفوس المستصعبة ، بشح أو طمع ، لم يصل إليه إلا بالمنافرة والمشاقة ، ولم يقدر عليه إلا بالمخاشنة والمشاحة ، لما استقر في الطباع



من مَنَّت من شاقِّها ونافرها ، وبغض من شاحِّها ونازعها ، كما استقرَّ حُب من ياسرها وسامحها ، فكان أليق لأُمور المروءة استلطاف النفوس بالمياسرة والمسامحة ، وتألَّفها بالمقاربة والمساهلة . قال بعض الحكماء : من عاشر إخوانه بالمسامحة ، دامت له مودَّاتهم . وقال بعض الأدباء : إذا أخذت عفو القلوب زكا رَبعك ، وإن استقصيت أكَّدت .

## المسامحة نوعان

والمسامحة نوعان : في عقود ، وحقوق .

فأما العقود ، فهو أن يكون فيها سهل المناجزة ، قليل المحاجزة ، مأمون الغيبة ، بعيدا من المكر والخديعة . روى عن النبي ﷺ أنه قال : «أَجْمِلُوا فِي طَلَبِ الدُّنْيَا ، فَإِنَّ كَلًّا مُيسَّرًا لما كُتِبَ له منها» . وقال ﷺ : «ألا أدلكم على شيء يحبه الله تعالى ورسوله ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : الصَّغَابُن للضعيف» . وحكى ابنُ عون : أن عمر بن عبد الله اشترى للحسن البصري إزارا بستة دراهم ونصف ، فأعطى التاجر سبعة دراهم ، فقال : ثمنه ستة دراهم ونصف . فقال : إني اشتريته لرجل لا يقاسم أخاه درهما . ومن الناس من يرى أن المساهلة في العقود عجز ، وأن الاستقصاء فيها حَزْم ، حتى إنه لينافس في الحقير ، وإن جاد بالجليل الكثير ، كالذي حكى عبد الله بن جعفر وقد ماكس في درهم ، وهو يجود بما يجود به . فقليل له في ذلك ، فقال : ذلك مالي أجود به ، وهذا عقلي يخلت به . وهذا إنما يسوغ من أهل المروءة في دفع ما يخادعهم به الأدياء ، ويُغابتهم به الأشحاء ، وهكذا كانت حال عبد الله بن جعفر . فأما مُماكسة الاستنزال والاستسماح ، فكلا ، لأنه مناف للكرم ، ومناف للمروءة .

وأما الحقوق فتتنوع المسامحة فيها نوعين : أحدهما : في الأحوال ، والثاني : في الأموال .

فأما المسامحة في الأحوال ، فهي اطراح المنازعة في الرُتب ، وترك المنافسة في التقدم ، فإن مُشاحَّة النفوس فيها أعظم ، والعناد عليها أكثر ، فإن ساع فيها ولم ينافس ، كان مع أخذه بأفضل الأخلاق ، واستعماله لأحسن الآداب أوقع في النفوس من إفضاله برغائب الأموال ، ثم هو أزيد في رتبته ، وأبلغ في تقدّمه ، وإن شاحَّ فيها ونازع ، كان مع ارتكابه لأخشن الأخلاق ، واستعماله لأهجن الآداب ، أنكى في النفوس من حد السيف وطعن السنان ، ثم هو أخفض للمرتبة ، وأمنع من التقدم .

حُكِيَ أن فتى من بنى هاشم تخطَّى رقاب الناس عند ابن أبي داود فقال :  
يأبئني ، إن الآداب ميراث الأشراف ، ولست أرى عندك من ستأفك لرتنا .

وأما المسامحة في الأموال ، فتتنوع ثلاثة أنواع : مسامحة إسقاط لعدم ، ومسامحة تخفيف لعجز ، ومسامحة إنكار لعمسرة ، وهي مع اختلاف أسبابها تفضّل ماثور ، وتألّف مشكور . وإذا كان الكريم . قد يجود بما تحويه يده ، وينفذ فيه تصرفه ، كان أولى أن يجود بما خرج عن يده ، فطاب نفسا بفراقه . وقد تصل المسامحة في الحقوق إلى من لا يقبل البرّ ، ويأبى الصلة ، فيكون أحسن موقعا ، وأزكى محلا ، وربما كانت المسامحة فيها آمن من ردّ السائل ، ومنع المجتدي ، لأن السائل كما اجتراً على سؤالك ، فسيجتريء على سؤال غيرك إن رددته ، وليس كل من صار أسير حقلك ، ورهين دينك ، يجد بدا من مسامحتك ومياسرتك ، ثم لك من ذلك حسن الثناء ، وجزيل الأجر .

وقال محمود الورّاق رحمه الله :

المرء بعد الموت أحدوثته يفنى وتبقى منه آثاره  
فأحسن الحالات حال امسرى تطيب بعد الموت أخباره

فهذه حال المياسرة .

## الإفضال نوعان

وأما الإفضال فنوعان : إفضال اصطناع ، وإفضال استكفاف ودفاع .  
فأما إفضال الاصطناع فنوعان : أحدهما : مأسداه جودا في شكور  
والثاني : ماتألف به تَبَوُّة نُفُور ، وكلاهما من شروط المروءة ، لما فيها من ظهور  
الاصطناع ، وتكاثر الأشياع والأتباع ، ومن قلت صنائعه في الشاكرين ،  
وأعرض عن تألف النافرين ، كان فردا مهجورا ، وتابعا محقورا ، ولا مروءة  
لمتروك مُطْرَح ، ولا قَدْرٌ لمحقور مهتضم . وقال عمر بن عبد العزيز :  
ماطاوعنى الناس على شيء أردته من الحق حتى بسطت لهم طرفا من الدنيا .  
وقال بعض الحكماء : أقل ما يجب للمنعِم بحق نعمته ، ألا يتوصل بها إلى  
معصيته :

وأنشدت لبعض الأعراب :  
من جمع المال ولم يجُـدِ بهِ وجَمَعَ المالَ لعامِ جَدْبِهِ  
هانَ على الناسِ هوانَ كَلْبِهِ

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي :  
يَقى التَّاءُ وتَدَهَبُ الأَمْوالُ ولكلِّ دَهرٍ ذُوْلَةٌ ورجالُ  
مانالٍ مَحْمَدَةٌ الرجالِ وشكْرَهُم إلا الجِوادُ بِمالِهِ المَفْضالُ  
لا ترض من رجلٍ حَلالَةٌ قولِهِ حتى يُصدِّقَ مايقولُ فِعْالُ  
فإن ضاقت به الحال عن الاصطناع بماله ، فقد عَدِمَ من آلة المكارم  
عمادها ، وفقد من شروط المروءة سِنادها ، فليؤاسِ بنفسه مؤاساة المسوِّف ،  
وليُسعِدِ بها إسعاد المتألف .

قال المتنبى :

فليُسعِدِ النطقى إن لم تُسعِدِ الحال (١٣٧)

(١٣٧) عجز بيت للمتنبى في الأمير فانك . وصدر البيت :  
لا تخيل عندك تُهديا ولا مال .

وإن كان لا يراها وإن أجهدا ، إلا تبعا للمُفضّلين ، قليلة بين الكثيرين ، فإن الناس لا يساؤون بين المعطى والمانع ، ولا يُمنعهم القول دون العمل ، ولا يغيثهم الكلام عن المال ، ويروّنه كالصّدَى : إن ردّ صوتا ، لم يُجَدّ نفعا .

كما قال الشاعر :

يجرّد بالوعد ولكثفه يدهن من قارورة فارغة

فكل ماخرج عندهم من المال كان فارغا ، وكل ماعدا الإفضال به كان هينا . وقد قدّمنا من القول في شروط الإفضال ما أقتنع .

وأما إفضال الاستكفاف ، فلأن ذا الفضل لا يعدم حاسدا نعمة ، ومعاند فضيلة ، يعتربه الجهل بإظهار عناده ، ويعتبه اللؤم على البذاء بسفه ، فإن غفل عن استكفاف السفهاء ، وأعرض عن استدفاع أهل البذاء ، صار عرضة هدفا للمثالب ، وحاله عرضة للنوائب ، وإذا استكف السفه ، واستدفع البذئ ، صان عرضه ، وحى نعمته . وقد روى عن النبي ﷺ ، أنه قال : « ما وقى به المرء عرضه ، فهو صدقة » . وقالت عائشة رضي الله عنها : « ذهبوا بأموالكم عن أحسابكم » . وامتدح رجل الزهري ، فقال له رجل : أتعطى على كلام الشيطان ؟ فقال : من ابتغى الخير اتقى الشر ، ولذلك قال النبي ﷺ : « من أراد برّ الوالدين فليعط الشعراء » . وهذا صحيح ، لأن الشعر سائر ، يُستر به ماضن من مدح أو هجاء ، ومن أجل ذلك قيل : لا تواخ شاعرا ، فإنه يمدحك بثمن ، ويهجوك مجّانا .

ولا استكفاف السفهاء بالإفضال شرطان : أحدهما : أن يخفيه ، حتى لا تنتشر فيه مطامع السفهاء ، فيتوصلوا إلى اجتذابه بسبه ، وإلى ماله بثّبه . والثاني : أن يتطلب له في الجملة وجها ، ويجعل في الإفضال عليه سببا ، لئلا يرى أنه على السفه واستدامة البذاء .

واعلم أنك ماحييت ، ملحوظ المحاسن ، محفوظ المساوي ، ثم من بعد ذلك حديث منتشر ، لا يراقبك صديق ، ولا يحامي عنك شقيق ، فكن أحسن حديث ينشر ، يكن سعيك في الناس مشكورا ، وأجرك عند الله

مذحجورا . فقد رَوَى زياد بن الجراح ، عن عمرو بن ميمون : أنه قال : قال رسول الله ﷺ : «اغتنم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك» .

فهذا ما اقتضاه هذا الفصل من شروط المروءة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .





## الرسالة الرابعة

الحرص على المروءة

وهاي ذى

رسالة من صاحب «زهر الآداب  
وثمر الألباب» الذى يعدونه  
في المغرب العربى دائرة معارف أدبية  
إنه يشير إليك ، وينصح قرآءه بالحرص  
عليك .

قالت : لم أفقد الأمل في المغرب  
العربى .. كما لم أفقد الأمل في  
شرقنا العربى .. حيث تمتد بلاد  
الإسلام .. فهناك كان  
أهلى وناسى !!

لأبى إسحق الحضرى القيروانى المتوفى سنة ٤١٨هـ







## الحرص على المروءة

كان عبد الملك يقول :

يا بني أمية ، أحسابكم أعراضكم ۱۱

لا تعرضوها على الجهال ؛ فإن الذمَّ باقٍ ما بقى الدهر ۱۱ والله ما سرّني أنّي  
هَجِيتُ بيتَ الأعشى ، ولي طِلاَعُ<sup>(١٣٨)</sup> الأَرْضِ ذهباً ۱۱

وهو قوله في علقمة بن علانة :

بيتُون في المَشْتَى مِلاَةً بطولِهِمْ وجاراتِهِمْ غَرَّتِي يَتَسَن خائِصاً<sup>(١٣٩)</sup>

ووالله ما يبالي من مُدَح بهذين البيتين ألا يُمدَح بغيرهما :

هَناكَ إن يُسْتَخْبِلوا المَالَ يَجْبَلُوا وإن يُسألُوا يُعْطُوا، وإن يُنَسروا يُغْلُوا<sup>(١٤٠)</sup>  
على مكثريهم حَقٌّ من يعسرِيهمُ وعند المقلين السِماحة والبذل

مروءة أبي عبد الله معاوية بن بشار .

قال عمران بن شهاب :

استعنت على أبي عبد الله في أمر ببعض إخوانه .

وكان قد تقدّم سؤالاً إياه فيه ؛ فقال لي :

لولا أن حقك لا يُجحد ولا يضاع ؛ لحجبت عنك حسن نظري ! أظننتني  
أجهلُ الإحسان حتى أعلمه ۱؟

(١٣٨) طِلاَع الأَرْضِ ملؤها

(١٣٩) غَرَّتِي : حياء ، وحماس ؛ حاله الطون . وعكسها : طنان .

(١٤٠) اسحله المَالَ . استعارة إياه تُسمع به .

ولا أعرف مواضع المعروف حتى أعرفه ١٢

لو كان لا يُتَأَلَّ ما عندي إلا بغيري ؛ لكنت مثل البعير الذلول ؛ يُحْمَلُ عليه ، ولا يمل الثقل ؛ إن قيد انقاد ، وإن أُنيخَ برك ؛ لا يملك من نفسه شيئا .

فقلت : معرفتك بموضع الصنائع أثبت معرفة .

ولم أجعل فلاناً شفيحاً إنما جعلت مذكراً .. ١١

قال : وأي إذكاري أبلغ عندي في رعي حَقِّكَ من مسيرك إلي ، وتسليمك علي ١١٢

إنه متى لم يتصفح المأمول أسماء مؤمليه غدوة ورواحاً لم يكن للأمل عملاً ١١  
وجرى عليه الغدرُ لمؤمليه بما غدر ، وهو غير محمود على ذلك ولا مشكور ١١

ومالي إمام بعد وردى من القرآن إلا أسماء أهل التأميل ، حتى أعرضهم على قلبي ١

فلا تستعن علي شريف إلا بشرفه ؛ فإنه يرى ذلك عيباً لعرفه ١١

وأنشده :

وذاك امرؤ إن تأتته في عظيمية إلى بابيه لا تأتته بشفيح ١١  
ومن توقيعاته :

● الحقُّ يُعَقِّبُ صُلْحاً وظفراً

● والباطلُ يورثُ كذباً وندماً

وكتب إليه رجل : والنفس مُولعةٌ بحب العاجل ! فكتب إليه : لكن العقل الذي جعله الله للشهوة زماماً ، وللهوى رباطاً موكلٌ بحب الآجل ، مستصغر لكل كثير زائل ١١



## الرسالة الخامسة

### مطلب المروعة

وهذه رسالة هامة  
من رائد من رواد مصر جاء مع  
مشارف القرن التاسع عشر وحمل لواء  
النهضة الحديثة .. وحين عاد من باريس  
بعلمه الحديث قرر أن يقيم الدولة على  
العلم والأخلاق فالعلم وحده ليس  
يجدى .. إنه شيخنا «رفاعة رافع الطهطاوى»  
الذى جعل للمروعة في مؤلفاته مطلبا  
وخصص لها جانبا

الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى ١٨٠١/١٨٧٣ م





## مع رائد النهضة في العصر الحديث

.. وعلى مشارف العصر الحديث .. ومع طلائع النهضة الفكرية والاجتماعية التي جاءت في كتابات الشيخ «رفاعة رافع الطهطاوى» — نقف بين يدي أحد كتبه :

«مناهج الألباب المصرية في مباحج الآداب العصرية» والكتاب ملئ بالمطالب التي تتحقق بها النهضة وعلى رأس تلك المطالب :  
«مطلب المروءة»

وحسبك أيها القارىء العزيز أن تعيش مع صاحب هذا الفكر المتوقد ، والقلم الذى لم يتوقف يوما واحداً عن خدمة العلم والثقافة في مدى نصف قرن من عمر دام اثنين وسبعين عاما.

(١٢١٦ هـ ١٨٠١ م — ١٢٩٠ هـ ١٨٨٣ م)

سوف نعيش مع الرجل الذى لم يتخلل عن مروءته يوم أن عاد من فرنسا يحمل معه أسس النهضة وتباشير المدنية !

هذا الرجل الذى امتد نشاطه إلى الأزهر ، والجيش ، ومدرسة الطب ، ومدرسة المدفعية ، ومدرسة الألسن ، فكان له في كل منها أثر مباشر ظهر في تعليمه ، وتلاميذه وكتبه ، وكان له أثر غير مباشر تلقته الأمة بعد ذلك عن تلاميذه ، وعن مدرسته الفكرية التى أنشأها .

رجل شملت معارفه التى بثها بين قومه تدريسا ، وتأليفا وترجمة : علم الكلام ، والفقهاء ، والنحو ، والحديث ، والبلاغة والأدب والتاريخ ، والجغرافية ، والتربية ، والسياسة ، والاجتماع ، والقانون ، والاقتصاد .

وهذه في ذاتها مجموعة ثرية بالفكر ، خصبة بالعلم ، لو أن جهوده قصرت عليها لكانت موسوعة مناسبة لزمته ، ولكنه ضم إليها في وقت كانت البلاد أحوج ماتكون إلى فروع أخرى من المعرفة .. ضم إليها .. الهندسة والصحة ، والطب ، والفنون الحربية ، وعلم المعادن .

والعجيب في أمر هذا الرجل العبقري أنه لم يكن موفداً إلى فرنسا للدراسة العلم في البعثة المصرية ، وإنما كان اختياره ليرافق البعثة إماماً لأعضائها ، وواعظاً لهم .

ولكنه نزل الميدان أحرص من طلاب البعثة أنفسهم حتى لقد تألق اسمه بينهم ، ودانوا له بالزعامة العلمية ، كما دانوا له بالزعامة الروحية .

ولاشك أنه كان لاستقامته ، وهو في باريس أعظم الأثر في تمكينه مما قام به من الدراسات .. ويكفي أن يقول عنه أستاذه الفرنسي الذي عاشه أربعة أعوام :

«لم أرفيه إلا مايدعو إلى الرضا ..... سواء في تعلّمه وفي سلوكه الذي كان يمتاز : بالحكمة ، والاحتراس ، وحسن الخلق ، ولين العريكة» .

ويقول عنه تلميذه وصفيّه الأستاذ صالح مجدى : «قال لي من أثق به ممن كانوا معه في باريس :

إنه كان يؤدي الفرائض والسنن . ولم يأكل مما لم يذكر اسم الله عليه . وواظب على تلاوة القرآن» .

وبعد :

فلقد عاش «رفاعة» حياة كاملة :

أدى فيها حق الله تعالى ا

وحقّ الوطن ا

وحقّ الإقليم ا

وحقّ الأسرة ا

وحقّ نفسه ا

## وبلغ قمة المروءة !!

فلا عجب أن يُفَرِّدَ لها «مطلبيا» يتناولها فيه ، بعد أن عاد إلى وطنه .. وكأنما  
قد رأى «أهل المروءة دون خلق الله ماتوا» !! ، فراح يستعيدُها من جديد ..  
نكل مايقوم على غير المروءة لا يغنى ولا يفيد !! .









## مطلب المروءة لرفاعة رافع الطهطاوى

حقائق الإيمان :

ويقال ثلاثة من حقائق الإيمان :

- . الاقتصاد في الإنفاق .
- . والإنصاف من نفسك .
- . والابتداء بالسلام .

وضابط الاقتصاد في الإنفاق :

أن مادبره العقل ، وناله الفضل فهو الاقتصاد الجميل الحسن .  
فالعقل السليم لا يميل إلى الفرط ، ولا إلى الشطط بل يتبع الوسط الذي هو  
خير الأمور .

مظاهر المروءة ودلائلها :

ومن شواهد فضيلة البر ، ودلائل الكرم ، والإنفاق :

«المروءة»

التي هي حلية النفوس ، وزينة الهمم ، وهي مجارة النفس على أفضل  
أحوالها .

رَوَى عن النبي ﷺ أنه قال :

«من عامل الناس فلمه يظلمهم ..  
وحادثهم فلم يكذبهم ..  
ووعدهم فلم يخلفهم ..»

فهو ممن كَمَلَتْ مُرُوئُهُ ..  
وظَهَرَتْ عَدَالَتُهُ ..  
ووجِبَتْ أُخُوَّتُهُ ..  
وَحُرِّمَتْ غِيْبَتُهُ» ..

الفرق بين العقل والمروءة :

وسئِلَ بعض الحكماء عن الفرق بين العقل والمروءة فقال :  
العقلُ يَأْمُرُكُ بِالْأَنْفَعِ  
والمروءَةُ تَأْمُرُكُ بِالْأَرْفَعِ

من أولئك الذين يتقادون للمروءة ؟

ولا يتقاد للمروءة مَعَ ثِقَلِ تَكْلِيفِهَا إِلَّا مَنْ سَهَّلَتْ عَلَيْهِ الْمَشَاقُّ رَغْبَةً فِي  
المُحَمَّدَةِ ، وَهَانَتْ عَلَيْهِ الْمَلَاذُ حَذْرًا مِنَ الْمَدْمَةِ .

ولذلك قيل :

«سَيِّدُ الْقَوْمِ أَشْقَاهُمْ»

أى أكثرهم مَشَقَّةً ، قال المتنبي :

لَوْلَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلَّهُمْ الْجَوْدُ يُفْقِرُ ، وَالْإِقْدَامُ قَالُ

وقال :

إِذَا كَانَتِ النَّفْسُ كِبَارًا تَمَسُّكَ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ

دواعي استسهال الصعب في سبيل التمسك بالمروءة :

والداعى إلى استسهال الصعب في التمسك بالمروءة شيان :

١ — علو الهمة .

٢ — وشرف النفس .

فَأَمَّا عُلُوُّ الْهِمَّةِ ؛ فَإِنَّهُ بَاعَثَ عَلَى التَّقَدُّمِ ، وَدَاعٍ إِلَى التَّخَصُّصِ ؛ أَنْفَةً مِنْ  
خَمُولِ الضَّعَةِ ، وَاسْتِكْبَارًا لِمَكَانَةِ النَّقْصِ !!

وفي الحديث الشريف :

«إن الله تعالى يُحِبُّ معالي الأمور ويكرهُ سفسفاها» .

وأما شرفُ النفس :

فيه يكون قبولُ التأديب ، وتقويمُ التهذيب ؛ فإذا شُرِفَتِ النَّفْسُ كانت للآداب طالبة ، وفي الفضائل راعية .

فإذا تجرَّدَ شرفُ النفس عن علوِّ الهمة ، كان الفضلُ به عاطلاً ، حتى قيل :

إن شرف النفس مع صغرِ الهمة أولى من علو الهمة مع دناءة النفس ؛ لأن من غلبت عليه همته ، مع دناءة نفسه ، كان متعدياً إلى طلب مالا يستحقه ، وُمتَحَطِّياً إلى التماس مالا يستوجبُه .

ومن شرفت نفسه مع صغر همته ، فهو تارك لما يستحقه ، ومُقَصِّرُ عما يجب له !!

والفرق بين الأمرين ظاهر ، وإن كان لكل واحدٍ منهما من الدم نصيب !

قال الشاعر :

إن المروءة ليس يدركها امرؤٌ ورث الكارمَ عن أبٍ فأضاعها  
أمرته نفسٌ بالدنائةِ والخناسِ ونهته عن سبيل الغلا فأطاعها  
فإذا أصاب من الكارمِ خلَّةٌ ينسى الكريمُ بها الكارمَ باعها !!

## من كامل المروءة ؟

الكامل المروءة :

من حصَّن دينه ، ووصلَ رَجْمته ، وأكرمَ إخوانه .

وقال بعض الحكماء : كاملُ المروءة :

من أَحَبِّ الْمَكَارِمِ ١ ، واجتنب المحارم ١  
قاليرُ الحقيقى المذكور فى قوله تعالى :  
﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ﴾<sup>(١٢١)</sup> . حليف للمروءة الكاملة .  
ويطابق هذه الآية الشريفة قوله ﷺ : «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا  
من ثلاث :

صدقة جارية  
أو علم ينتفع به  
أو ولد صالح يدعو له»

(رواه الإمام مسلم — رضى الله عنه — بلفظ : «إذا مات المسلم» بدل  
«ابن آدم» .

فقد حث الحديث النبوى على ثلاث فضائل جامعة شاملة لأساس الدنيا  
والدين :

فى حق صاحب العمل تديم عمله ، وتجعله باقياً كأن صاحب العمل حتى  
بعمله ، مأجور دائماً .

فهذه فضائل مُخلدة للذكر ، مؤبدة للأجر .

وبضئها تتميز الأشياء ؛ فإن من لاصدقة له فى حياته ، ولا علم ، ولا  
ذرية ، فعمله مقطوع من أصله ١١

فهو ميت الأحياء ؛ حيث عديم الفضائل الثلاث .



## الرسالة السادسة

المروءة ومظاهرها الصادقة

وما هو ذا - أيتها المروءة ..  
مولانا الخضر حسين شيخ الإسلام الأسبق ،  
وشيوخ الجامع الأزهر يشيد بك في رسالة من  
رسائل إصلاحه ، ويحدث المسلمين عنك ويرتددهم إليك ..  
وإلى مظاهرك الصادقة في كل زمان ومكان  
ويناشدهم أن يربوا أبناءهم  
على رعايتك

فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر





## المروءة ومظاهرها الصادقة

منزلتها :

خصلة رفيعة القدر . تجرى في منشآت الأدياء . ويتحدث عن معناها في علوم اللغة والشريعة والأدب والأخلاق ، تلك الفضيلة هي : المروءة .

### المروءة عند الأدياء

نظر في منشآت الأدياء من منظوم ومنثور ، فنجد لفظ المروءة وارداً في مقامات المدح ، كما قال زياد الأعجم يمدح عبد الله بن الحشرج :  
إن السماحة والمروءة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج  
أو الفخر كما قال أحد شعراء الحماسة :  
عادوا مروءتنا فضلل سعيهم ولكل بيت مروءة أعبداء  
وقالوا في الذم : فلان زمن المروءة : أي أن مروءته دارسة بالية .

### المروءة في كتب اللغة

ونظر في كتب اللغة ، فنجدها تقول : المروءة : الإنسانية أو كمال الرجولية ، أو الرجولية الكاملة . وكال الرجولية ينظم من الأخلاق الحميدة ، والآداب السامية . فالمروءة إذاً هي جماع مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب ، فمن يفوته جانب من هذه المكارم أو المحاسن ، حوته جانب من العناصر التي تكون منها المروءة .





قتيبة : المروءة الصبر على الرجال ، أى الصبر على المكاره فى معاشرتهم وقضاء مآربهم . وقال ابن هبيرة : المروءة إصلاح المال ، والرزانة فى المجلس ، والغداء والعشاء فى الفناء . ويريد من إصلاح المال تنميته والتصرف فيه على وجه الصلاح ، وكفى بالغداء والعشاء فى . الفناء عن الكرم والسخاء . وقال معاوية : المروءة ترك اللذة .

واللذات التى يعد تركها مروءة هى اللذات المحظورة على الإطلاق .  
واللذات الملهية عن الازدياد من الحمد وإن لم تكن من المحظورات .

نوم الغداة وشرب بالعشيات موكــــلان يتهديم المروءات

وعبارات هؤلاء البلغاء والحكماء لا تخالف قول اللغويين : المروءة كمال الرجولية ، لأن البلغاء قد يتساحون فى بيان معانى الألفاظ ، فيقتصر الواحد منهم على بعض المعنى اهتماماً بشأنه ، وحرصاً على أن يضعه نصب عين السائل ، ليكون ذلك أدعى إلى عنايته به ، ومحافظته عليه .

## المروءة فى كتب الأخلاق

وننظر فى كتب الأخلاق ، فنرى بعضها يفسر المروءة بعظم النفس . ووجه هذا التفسير أن عظم النفس هو المنمى لمكارم الأخلاق ومحاسن الآداب وعلى هذه المكارم والمحاسن يقوم كمال الرجولية .

ولا خلاف بين من تحدثوا عن المروءة أن هناك آداباً لا يعلو مقام الرجل فى المروءة إلا بالمحافظة عليها . وبين أيدينا منابع للمروءة عذبة صافية هى الكتاب الحكيم ، وسيرة النبى الكريم صلوات الله عليه . وإن فى آثار العظماء من السلف بعد ذلك لعبرة .

## المروءة في آثار السلف الصالح

وها أنا أسوق إلى حضراتكم جملة من تلكم الآداب كأمثلة يزداد بها معنى  
المروءة وضوحاً ، فأقول :

من أدب صاحب المروءة أن يكون ذا أناة وتؤدة ، فلا يبدو في حركاته  
اضطراب أو عجلة ، كأن يكثر الالتفات في الطريق ، ويعجل في مشيه العجلة  
الخارجة عن حد الاعتدال ، وأما السرعة بمعنى عدم التباطؤ والتثاقل ، فدليل  
الحزم ، والحزم من مقومات المروءة .

ويتصل بهذا الأدب أن يكون الرجل متشداً في كلامه : يرسل كلماته  
مفصلة ، ولا يخطف حروفها خطفاً حتى يكاد بعضها يدخل بعضاً .

وحيث كان لحسن البيان دخل في كمال الرجولية ، صح أن يعد في مظاهر  
المروءة . وينبه لهذا قول عمر بن الخطاب : تعلموا العربية ، فإنها تزيد في  
المروءة . ومن أدب صاحب المروءة أن يضبط نفسه عن هيجان الغضب أو  
دهشة الفرح ، ويقف موقف الاعتدال في حالي الضراء والسراء .

ولست بمفراح إذا الدهر سرفي ولا جازع من صرفه المتقلب

ومن هنا نرى ذا المروءة لاتطيش به الولاية في زهو ، ولا ينزل به العزل  
في حسرة . عدل معاوية عن تولية الأحنف بن قيس ثغر الهند فقال له ريباد :  
إن الأحنف بلغ من الشرف والحلم والسؤدد ما لا تنفعه الولاية ، ولا يضره  
العزل . وقال قاضي قرطبة محمد بن بشير : والله لا أبالي في الحق من مدحني أو  
ذمتني ، وما أسر للولاية ، ولا أستوحش من العزل .

ومن أدب صاحب المروءة : الصراحة والترفع عن المواربة والنفاق فلا  
يبدى لشخص الصداقة وهو يحمل له العداوة ، أو يشهد له باستقامة السيرة  
وهو يراه منحرفاً عن السبيل .

فسرى كإعلاني وتلك خليقتى وظلمة ليل مشعل ضوء نهاري  
والمراد أن صاحب المروءة لا يتخذ الظهور بخلاف ما يضر عادة مثل  
ما يفعل قوم لا تشمئز نفوسهم من الملق والرياء ، أما إذا اقتضت الحكمة إخفاء بعض  
ما يضر من نحو العداوة والصداقة ، فإن اتباع ما تقتضيه الحكمة ، من  
مكلمات المروءة .

ويتصل بهذا الأدب أدب آخر هو أن لا يفعل الرجل في الخفاء ما لو ظهر  
للناس لعدوه من سقطاته . وقد رفع محمد بن عمران التيمسي شأن هذا الأدب  
حتى جعله هو المروءة ، فقال لما سئل عن المروءة : أن لا تعمل في السر  
ما تستحي منه في العلانية .

وعمل القبيح في السر يدل على أن تجنبه في العلانية تصنع ورياء . والمروءة  
أن يجتنب الرجل القبائح لقبحها ووخامة عاقبتها .

وإذا وجد في الناس من فيه استعداد لأن يعاشر من يحملون له في أنفسهم  
عداء واستهانة بشأنه ، ولا يبالي أن يلاقهم صباحاً ومساءً لغير ضرورة ، فإن  
صاحب المروءة يستطيع أن يلاق الناس بطلاقة وجه ، ولسان رطب ، غير  
باحث عما تكنه صدورهم من مودة أو بغضاء ، ولكنه لا يستطيع أن يرافق  
ويعاشر إلا ودوداً مخلصاً .

وعش إماماً قريماً أخ وفي أمين الغيب أو عيش الوجساد  
ويطلق خفيف الوزن لسانه في أعراض الناس يلتقط معانيهم ، أو يختلق لهم  
معائب ، متخيلاً أنه يحظى باسم المروءة من إصاق العيب بغيره والعرب  
تقول : «فلان يتمرأ بنا» أي يطلب المروءة بتقصنا وعينا .

أما صاحب المروءة الصادقة ، فيبخل بوقته عن هذه الطوية الحقيمة ، ولا  
يرضى إلا أن يشغله بما تنقاضه المروءة من حقوق ، قال رجل لخالد بن  
صفوان : كان عبدة بن الطيب لا يحسن بهجو ، فقال له : لاتقل ذلك فوالله ما  
تركه من عي ولكنه كان يترفع عن الهجاء ، ويراه ضعة ، كما يرى تركه مروءة  
وشرفاً ، وأنشد قول أبي الهيثم :



في السعى لما يجعل عيشه في سعة ، أو يديه في ثراء ، قال مهيار :  
ونفس حرة لا يزدهيها حلل الدنيا وزخرفها المعسر  
يبيت الحق أصدق حاجتها وكسب العسر أطيب ما يمار  
وذو المروعة لا يظهر الشكوى من حوادث الدهر إلا أن يتقاضى حقاً :  
لا يفرحون إذا ما الدهر طاوعهم يوماً يسر ولا يشكون إن نكبوا  
وقال عبد الله بن الزبير الأسدي في عمر بن عثمان بن عفان :  
فني غير محبوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى إذ النعل زلت  
ويعد في مروعة الرجل أن يكون حافظاً لما نتمن عليه من أسرار ، قال  
المتنبي من أبيات جعلها خطاباً لمن أودعه ، وخشى منه إذاعته :  
كفستك المروعة ما تقسى وأمنك السوء ما تحذر  
يريد أنه ذو مروعة ، وذو المروعة لا يفشى سراً ، أو تمن عليه .

وذو المروعة يحذر أن يؤذى شخصاً ما ، وأشد ما يحذر أن يؤذى ذا مروعة مثله :  
وأستحيى المروعة أن تراهي قتلت مناسبى جليداً وقهراً

في المروعة راحة ولذة :

إذا كانت المروعة تقتضي الإعراض عن كثير من اللذات ، فإن في المروعة  
نفسها لذة تفوق كل نعيم في هذه الحياة ، وإن كان في حفظ المروعة ملاقة  
كثير من المشاق ، فإن راحة الضمير التي يجدها الرجل عندما يبلغ في المروعة  
غاية سامية تنسيه كل مشقة ، ولا يبقى معها للنعب باقية ، قال المتنبي :  
تلذ له المروعة وهي تؤذى ومن يعشق يلذ له الغرام

ولذة المروعة في شعور النفس ببلوغها كمال الرجولية أو قربها منها ،  
وإذيتها لصاحبها بما أشرنا إليه من أن للمروعة تكاليف باهظة لا ينهض بها إلا ذو  
صبر متين . حتى قال أبو عبد الله الكاتب : «الصبر على حقوق المروعة أشد

من الصبر على ألم الحاجة .

ذو المروءة حقيق بالإجلال :

إذا نظرنا في تفاصيل الأخلاق والآداب التي تقوم المروءة على رعايتها وجدناها تبعث على إجلال صاحبها وامتلاء الأعين بمهابته . ومن الحكم السائرة : «ذو المروءة يكرم وإن كان معدماً ، كالأسد يهاب وإن كان رابضاً ، ومن لا مروءة له ، يهان وإن كان موسراً ، كالكلب يهان وإن طوق وحل بالذهب» .

الغرض من هذا الحديث :

وقد رأينا كيف انتظمت المروءة أخلاقاً سنية ، وآداباً مضيئة ، وعرفنا أن رسوخ هذه الأخلاق والآداب في النفس ، يحتاج إلى صبر ومجاهدة ودقة ملاحظة وسلامة ذوق ، فحقيق بنا أن نرى أبناءنا على رعايتها منذ عهد التمييز ، حتى لا تسبق إليهم أخلاق غير نقية ، وعادات غير رضية ، فتحول بينهم وبين الفضائل فلا تجد المروءة إلى نفوسهم مدخلا :

إذا المرء أعتبه المروءة ناشئاً فمطلبها كهلا عليه عسير  
نرى أبناءنا على ما يثبت قواعد المروءة ، ويرفع بناءها ، ليحمدوا أبوتنا ، ويكونوا قرة أعين لنا ، وأسوة حسنة لأحفادنا ، وزينة لأوطاننا وليفوزوا بالعزة في الدنيا والسعادة في الآخرة .

## الرسالة السابعة

### مدرسة المروءة

قلت لها : وعلى مشارف  
النصف الثاني من القرن العشرين  
تصبحين أيتها المروءة الشغل الشاغل لعملاقين  
كبيرين من عمالقة الأدب في مصر ، ويسجل التاريخ  
ذلك الحوار بينهما حول مدرسة لك تسمى «مدرسة  
المروءة» !! ويفيض خاطر الدكتور أحمد أمين ببرامج  
تلك المدرسة بناء على تكليف من الدكتور طه حسين  
ومازال كتابه «فيض الخاطر» يحمل  
هذه الرسالة !!

للدكتور أحمد أمين المتوفى عام ١٩٥٤





في مدرسة المروعة !

وينشأ ناشيء الفتيان منا

على ما كان عوَّده أبوه



## مدرسة المروءة

تكليف شاق عسير !

طلب إليّ أخى الدكتور طه أن أضع له مشروعاً لمدرسة المروءة ، أبين فيه اختصاصها ومناهجها وتبعيتها الخ . ولا بد أن أنزل على حكمه ، لأنى دعوته فأجاب بل كثيراً ما يجيب من غير أن أدعوه ، وكثيراً ما يلاحقنى فى مقالاتى واقتراحاتى ، فإهمال دعوته إذاً جريرة لا تغتفر ، ولأن الموضوع فى ذاته جد خطير ، فلو ظفرنا بهذه المدرسة لأخرجت كما قال لنا : «رجالاً يرتفعون عن الصغائر كلها أشد الارتفاع ، ويتنزهون عن النقائص كلها أعظم التنزه» وأى شىء فى الوجود أنبل من هذه الغاية ، وأجدد منها بالقول ؟ .

بعض العقبات :

ولكن هذا التكليف شاق عسير ، صادفتنى فيه عقبات جمة أسرد لك بعضها :

أولها — ماالمروءة اسى نريد أن نشئء لها مدرسة ؟

لقد تعب الناس قديماً وحديثاً فى تحديد معناها ، فلم يصلوا فيه إلى قول حاسم ، وهى فى كل عقل بمعنى ، فقد عرفها بعض اللغويين بأنها «كمال الرجولة» ولكنى لم أرتض هذا التعريف ، لأنه يريد أن يقصر المروءة على الرجل ، ومعاذ الله أن أوافق على ذلك بعد أن أصبحت المرأة تخيفنا فى كل ما نقول ، فإذا لم نقل مايرضيها غضبت ، وويل لنا إذا غضبت . وهناك آتسة وقفت لى بالمرصاد ، فكلما تحدثت حديثاً فى الراديو ، أو كتبت مقالا فى

مجلة ، كتبت إلى تعنفنى على اقتصارى على جانب الرجل ، أو الاكتفاء بضمائر الرجال ، أو استعمال جمع المذكر السالم دون جمع المؤنث السالم ، بل ولم ترض منى بجمع التكسير الذى يشمل الرجل والمرأة على السواء ؛ فكيف لو ارتضيت هذا التعريف فى المروءة ، وهو يقول إنه كمال الرجولة ولم يقل كمال الأنوثة ، مع أن كمال الأنوثة مروءة ككمال الرجولة ؟ وكأن صاحب «لسان العرب» خاف خوفاً فأسرع وقال : إن «المروءة هى الإنسانية» ، فأرضى الرجل والمرأة ونجا بجلده .

وكتب عمر بن الخطاب إلى أبى موسى الأشعري : «خذ الناس بالعريه ، فإنه يزيد فى العقل ويثبت المروءة» وسئل آخر عن المروءة فقال : «الأت فعل فى السر ماتستحى منه فى العلانية» . وقال عبد الله بن عمر : «إنا معشر قريش لانعد الحلم والجود سؤدداً ، ونعد العفاف وإصلاح المال مروءة» ، وروى العتبي عن أبيه أنه قال : «لاتم مروءة الرجل إلا بخمس : أن يكون عالماً صادقاً عاقلاً ذا بيان مستغنياً عن الناس» .

ولو عددت كل ما قيل فى تعريفها لضاق المجال ؛ وأنت أعلم به منى ، فأى الأقوال نختار ، وأى الآراء تؤسس عليه بناء المدرسة ؟ .

ولكن هذا الإشكال يمكن حله بأن نأخذ كل هذه التعاريف وغيرها ، ونمزجها وننخلها ونجعل منها خلاصة تكون برنامجنا ؛ وسنصل فى النهاية — فيما نظن — إلى تعريف أنها «كمال الإنسانية» .

ثم وقعت فى مشكلة أخرى ؛ ذلك أنى رأيت فى التاريخ حادثة خطيرة حدثت للمروءة ، وهى أن أهلها كلهم ماتوا فى زمن من الأزمان ، وأقامت المروءة عليهم الحداد ، ولبست السواد ، وأخذت تندبهم وتولول عليهم ، ومر بها شاعر وهى على هذا الحال فقال :

مررت على المروءة وهى تبكى فقلت علام تتسحب الفتاة ؟  
فقلت كيف لا أبكى وأهلى جميعاً دون خلق الله ماتوا؟

فقلت إذا كان أهل المروءة جميعاً قد ماتوا فكيف ننشئ مدرسة ، ومن أين نأتى بالمدرسين ؟ فإنهم إذا كانوا من أهل المروءة فقد كذبت المروءة فى أنهم

جميعاً ماتوا ، والكذب يناقى المروءة ، وإذا لم يكونوا من أهل المروءة فكيف يخلقون ذوى المروءات ، والشئ لا يُخلَق من لا شئ ؟ وإخواننا الأزهريون يقولون : «فاقد الشئ لا يعطيه» ؛ وبعد جهد جهيد تغلبت على هذه المشكلة بأن المروءة لم تكذب ، وإنما كذب الشاعر ؛ فهو لم ير المروءة بعينه ، ولم يحدثها وتحديثه ، بدليل أن شاعراً آخر مثله وقبله قال :

إن السماحة والمروءة والنسدى في قبة ضربت على ابن العَشْرَج  
ثم مات ابن الحشرج وسقطت قبته على من فيها ، ومع ذلك بقيت المروءة  
حتى لقبها الشاعر الثاني فيما يزعم .

إذا فالمرءة بحمد الله موجودة لم يمت أهلها كلهم ولم تنتحب عليهم ،  
فستطيع أن نجد لها معلمين من أهلها .

## مدرسة من صنف آخر

ثم أود قبل كل شئ ، وبعد كل شئ ، أن تبعد من ذهنك الفكرة الشائعة في المدرسة من أنها بناء ذو حجرات ومقاعد ، وحصص وأجراس ، وناظر ومفتش وفراش ؛ فقد أصبح هذا (الطقم) كله ثقيلًا بغيضاً ، أخشى أن ينفر المروءة فتنتحب ثانية ، وقد بدلنا غير المعقول في استرضائها وعودتها إلى الحياة .

- إنما أريدها مدرسة من صنف آخر ، على حد تعبيرنا أن «مجلة الثقافة» مدرسة ، وعلى حد تعبير إخواننا المستشرقين مدرسة الشافعية ومدرسة الحنفية ، أى دراسات المذهب الشافعى والمذهب الحنفى ، وكقولهم مدرسة المعتزلة ومدرسة الشيعة ، وهو تعبير طريف أظرف مافيه أنه ينجينا من كل مشاكل المدارس الأميرية والحررة ، وينجينا من وزارة المعارف بكل قيودها .
- أريدها مدرسة لها حدود أربعة هي بعينها حدود القطر المصرى شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً .

## مشكلة من نوع أعنف :

ولكن تأتي بعد ذلك مشكلة أعنف : كيف آتى بالمدرسين لكل هذا العدد ، وقد عجزت وزارة المعارف أن تأتي بمدرسين يسدون حاجتها ، مع أن عدد تلاميذ مدارسها لا يبلغ عشر معشار الأمة ، ومع أن لها العدد الوفير من مدارس معلمين ومعلمات ومعاهد تربية للبنين والبنات ، وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله ووزارة المعارف ؟ .

## نظرية جديدة وبسيطة :

خطر لى خاطر جرىء لست أدرى أترفضيه أم لا ترفضيه ا .

خلاصة هذا الخاطر تنبنى على «نظرية بسيطة» وهى :

أنه إذا صلح الرئيس صلح المرءوس ؛ وقياساً على هذه القاعدة إذا كان الرئيس ذا مروءة أصبح المرءوس ذا مروءة ا

وبناء على ذلك أشكّل لجنة صغيرة من ذوى المروءات وأمنحهم اختصاصاً واسعاً جداً لا تقف فى سبيله ورامة المالية بقوانينها وقيودها التى تكثف كل حركة ، وأمنح هذه اللجنة الإرادة التى لا حدّ لها فى العزل والإحالة على المعاش ، وأجعلها تستقصى أحوال كل رؤساء المصالح والدواوين ، وكل المديرين والمأمورين ، وكل العمدة ومشايخ البلاد ؛ فمن ثبت لها أنه أخل بالمروءة عزلته من غير هوادة ، وأحلت محله من عرف بالمروءة ، وأبتهت اللجنة إلى أن مقياس الكفاية للرياسة ليس العلم ، ولا الذكاء ، ولا الشهادة ، ولا المحسوبية ، ولا الحسب ولا النسب ، ولكن المروءة ؛ فإذا اجتمع علم ومروءة ، أو ذكاء ومروءة فذاك ، وإلا فالمرءة أولاً والمروءة وحدها .

إن فعلنا ذلك قلد المرءوسون الرئيس فى المروءة ، وقلد المأمورون المديرين ، وقلد العمدة ومشايخ البلد المأمورين ، وقلد الفلاحون العمدة والمشايخ ، وسرت فى البلاد كلها من أقصاها إلى أقصاها نوبة تسمى «نوبة المروءة» وبذلك أجعل من الرؤساء معلمين للمروءة يعلمون بالمثل لا بمجرد القول .

ثم أجعل للجنة المروءة هذه اختصاصاً واسعاً في نشر ثقافته المروءة ؛ فأحاديث تدوَّى في الراديو تصل إلى كل أذن تشيد بأعمال المروءة ، وروايات تمثل أعمال المروءة ، وكتب تؤلف في لغة سهلة عذبة في سير المروءات .

وشيء آخر لا بد منه ، وهو تكوين رأى عام يتطلب المروءة ويقدرها ويقومها ويكون شديد الحس بها ؛ فهو يجلب من أتي بأعمال المروءة ومن اتصف بها ، وهو يحتقر أشد الاحتقار من حاد عنها وارتكب ما يخل بشرفها ، مهما كان غنياً ، ومهما كان وجيهاً ، ومهما كان ذا سلطان ، لا كرايتنا العام الذي لا يعبأ بالمروءة كما يعبأ بالمنصب ، والذي لا يعبأ بالنبل كما يعبأ بالمال ، والذي إن احتقر أعمال اللؤم ، ففى سره وفي خاصته ، ثم هو حريص كل الحرص على ألا يشعر باحتقاره اللئيم المجرم ، ولا أن يصل إلى سمعه شيء من أقواله في احتقاره ، فهو يظن الكره ويظهر الحب ، ويظن الاحتقار ويظهر الإجلال .

### شأن المرأة في هذا البرنامج :

ولأعد سريماً إلى المرأة خوفاً من الأنسة ؛ فماذا يكون شأن المرأة في هذا البرنامج ؟ في هذه المسألة قولان — قول يقول : إذا مرؤ الرجل مرؤت المرأة ؛ فإذا أعدنا برنامجاً لمروءة الرجل ، استتبع ذلك مروءة المرأة ؛ ولكن المرأة ترفض هذا القول بتاتا ، وترى أنه ماس بكرامتها ، وتصر على أنه إذا مرؤت المرأة مرؤ الرجل ؛ لأنها هي التي ترضع الجيل الجديد المروءة ، ولأنها لا ترضى أن تكون تبعاً ، فهذه عقلية القرون الوسطى .

إن كان ذلك كذلك ، فلتترك برنامج مروءة المرأة للمرأة تضعه هي مادامت لا تقبل قول الرجل ، فذلك أقرب إلى العدل .

إن تم ذلك — يا أخى — امحى من مصر كل ماتشكو منه من صداقة تستغل الصديق ولا تفى للصديق ، وتقابل جميلاً بنكران ، وإحساناً بإساءة ، وامحى من الوجود رئيس يتخذ الرياسة وسيلة لإرضاء شهوته ، ويستطيل على الناس بجبروته وسطوته ، ورأيهم وكأنهم أُلشِيُوا خُلُقاً آخر : يتبارون في المروءة ، ويفخرون بأعمال المروءة . والحكومة ترقبهم حسب مآثرنا من أعمال

المروءة ، وماظهر منهم من نبيل وشرف وكرم نفس ومروءة . وحن إن لم نصل إلى هذا كله دفعة واحدة ، ففي بعضه رضى لى ورضى لك . وحسبنا أن يسير الناس إلى الغاية ، وإن لم يبلغوا الغاية .

تسألنى بعد ذلك : لمن تتبعها ؟ أوزارة الشؤون الاجتماعية ؟ أم لوزارة المعارف العمومية ؟ وأظنك بعد أن تقرأ إجابتي لا ترى معنى لهذا السؤال ، فلقد جعلت وزارة المعارف ووزارة الشؤون الاجتماعية وغيرها من الوزارات تبعاً لمدرستي ، فكيف أتبع مدرستي لإحداهما وأنت تعلم أن الدور في الفلسفة محال ؟

هذا — ياأخى — ماخطر لى اليوم في اقتراحك ، وهو كما ترى مملوء بالأشواك . فإن ظهر لى جديد ، أتبع خطة وزارة المعارف في تعديل المناهج . والسلام .





## حوار حول العودة !!

هل ..

آن للغريب أن يرى حاه !!؟ .

وهل ..

آن للغائب أن يعود إلى أهله وذوى قرياه !!؟

وهل ..

آن لنا أن نراعى في أبنائنا وبناتنا

الله !!؟





## قالت ..

بعد أن راحت تعيد قراءة «رسائل الشوق إليها» واحدة بعد أخرى . أخذت تكفكف دموعها على أهلها وقد طال عليهم بكاؤها معتقدة أنهم دون خلق الله ماتوا !! .

ثم استجمعت شتاها وقالت وقد تعرفت علىّ وأنسيت إلىّ :

ألست واحداً ممن كانوا قد تعلقوا بي في صباهم وعاشوا شيخوختهم بعد أن غبت عنكم وطالت غيبتى ١١٩

ألست القائم بدور : «ساعي البريد» جئت تحمل في جعبتك رسائل المهيبين وقد تجمعت في صندوقك من بلاد الله .. خلق الله ١٢

ألست واسطة خير ، وهمزة وصل ، وابتسامة أمل ، وكلمة حق ، وسفير قومك إلى ١٣

ألست واحداً من أهلى وناسى ممن طال بهم الحنين والشوق ١١٩ أهلا بك وسهلاً ..

قلت : بل أهلا بك أنت وسهلاً ومرحباً في بلادك بلاد الإسلام والمسلمين فهناك الكثيرون ممن صفت نفوسهم ، واطمأنت قلوبهم يسعدهم أن تعودى إلى ديارهم وبيوتهم ومدارسهم ومعاهدهم وأنديتهم ، ومجمعاتهم ، وشوارعهم ، ومصانعهم وحقولهم وشتى مرافقهم ودواوينهم ودور نشرهم ووسائل إعلامهم !

قالت : ومن يضمن لى أن أجد صداى فى سلوكهم وحياتهم ؟ وما جدوى عودتى إذا كنت تبنى وغيرك يهدم ١٤

إن أرادوا عودتي حقا فلا بُدَّ من إعادة تشكيل عقولكم ونفوسكم من جديد كي تصلحوا لي وأصلح لكم !!

إن كانوا جادين حقا فعليهم أن يغيروا ما بأنفسهم ؛ **﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾** (١٤٣)

قلت لها : لن ينقطع فينا الأمل والرجاء !!

وإن هناك لمن يتلفتون حولهم .. يبحثون عنك .. ويودون مخلصين أن يتعرفوا عليك لتشرق شمسك من جديد على حياتهم ، وحياة أبنائهم وبناتهم بعد أن أصبحوا حيارى تائهين في دروب الحياة !!

والأمل كبير أن تجدى فيهم أهلا .. وإخوة وآباء .. حتى يلتئم شمل الأسرة ، وترفرف على سمائها أعلامك من جديد !

وكما حمل لواءك المثل الأعلى للمروءة **ﷺ** .. وصحابته الأخيار فسوف يحمله فتية آمنوا بربههم وزادهم الله هدى .. سوف تحمله الشبيبة المسلمة لتشرق شمسك من جديد على بلاد الإسلام !!

قالت : هل أعددتم فيما بينكم ميثاقا تلتزمون فيه برعايتي في أقوالكم وأفعالكم وحياتكم اليومية ؟!

هل لدى كل منكم استعداد ليصبح سلوكه تطبيقا عمليا وترجمة فعلية لما تضمنته هذا الرسائل التي أتيتني بها وقد كُتبت لكم عنى ، ولم تكتب لي ؟ إنكم أولى بها منى ، وفيها ما يزيدكم معرفة بي .. إننى أعرف نفسى .. لكنكم أصبحتم لاتعرفونى !!

سائلوا الآباء والمعلمين وولاة الأمور ومن هم في موضع القدوة هل لديهم استعداد حقيقى أن يكونوا لأبنائهم النموذج والقدوة والمثل ، فلا تقع أعين الناشئين منهم على قبيح ، ولا يشتمون من سلوكهم إلا أطيب ريح ؟!

وأخيرا هل هناك رأى عام يتخذ من «فاقدى المروءة» موقفاً موحداً  
ويضعهم في قائمة سوداء !!

هل فكرتم يوماً أن تقاطعوا «إنتاجهم» ؟!

هل فكرتم يوماً أن لا تتعاملوا معهم ؟!

وَيَحْكُمُ !! يجعلون منهم نجوم المجتمع .. تسلطون عليهم الأضواء في  
صحفكم وإذاعاتكم !!؟

أليس في كل «مصلحة» رجل رشيد يجعل رأس الأسس التي يتم بناء عليها  
الاختيار والترقى لتولى الأعمال مقياس المروءة ، ويتم التأكد قبل الاختيار : أهو  
أهل للمروءة ، فيستعان به ، ويقرب . أم هو فاقد للمروءة ، فيصرف النظر  
عنه ، ويستبعد !! .

أما ينبغي أن تميزوا بينهما بعد أن اختلط الخابل بالنابل ، وضاع الحق ...  
وأصبح أهلى في ديارهم غرباء ؟!

لقد أعجبنى في رسائلك قول عالمكم «أحمد أمين» .

إذا صلح الرئيس صلح المرعوس ؛ فإذا كان الرئيس ذا مروءة أصبح  
المرعوس ذا مروءة .

ألديكم استعداد أن تعزلوا من أختل بالمروءة وتولوا بدلا منه من عُرف  
بالمروءة ؟

قلت لها : كفى ما كان .. وما وصلت إليه حال البلاد .. فلقد وعينا  
الدرس جيدا بعد أن فقدنا الوعي سنين !!

قالت : ومن عاد فينقم الله منه !!

قلت : لن نعود !!

قالت : على بركة الله !!

هيا بشر قومك بقدمى ..

قلت لها ألا يرضيك :

● أن تتبادل دراسة تلك الرسائل في بلاد الإسلام والمسلمين مهيئة للعودة ١٩

ألا يرضيك :

● أن تخصص لك بعض الوقت في إذاعاتنا وصحفنا ومدارسنا ومعاهدنا ومجلاتنا حتى يميز الناس الخبيث من الطيب .

ألا يرضيك :

● أن يكون اللقاء الأسبوعي بين الآباء والأبناء على شرف المروءة ، وأن يعطى الآباء والمربون المثل والقُدوة ؟

ألا يرضيك :

● أن تسلط الأضواء على المظاهر السلبية ليعرف الجميع «من هو فاقد المروءة» ويتخذوا منه موقفاً موحداً .

ألا يرضيك :

● أن تكون «المثالية» بين «الآباء» و «الأمهات» و «الطلبة» و «المعلمين» و «الموظفين» من أصحاب المروءة ١١٩

ألا يرضيك :

● أن تكون الحوافز .. والترقية بالاختيار قائمة على المروءة .

قالت : أفصح إن صدق ١١

قلت : ومالنا لانصدق وليس فينا من لا يتلفت حوله قائلاً : أين المروء ؟  
ومالنا لا نصدق وقد أصبحت حياتنا في غيبتك عذاباً لا يطاق .. فقد قست قلوبنا ، وفسدت ضمائرنا ، وتمزقت روابطنا ، وانحلت عُرا المودة والمحبة بيننا ، وتعالى صوتنا : النجدة النجدة .. الإنقاذ الإنقاذ ١١

لقد أصبح عمتا أن تعودى من جديد لتعيد في داخلنا بناء الإسلام الذى  
تهدم ، والإنسان الذى تحطم !!

نعم أصبح لازماً أن تعودى لتعود معك الرجولة والشهامة والنجدة ،  
ويصبح التعاون على البر والتقوى سمةً من سماتنا .. أصبح لازماً أن تعودى إلى  
شوارعنا ومعاهدنا ومدارسنا وجامعاتنا وأسواقنا ، وشركاتنا بمقار أعمالنا ،  
حتى نتطلق مسيرتنا ، وترتفع رايتنا ، ويكفل الله مسعانا بالنجاح والفوز ..  
ومن يدري .

فما بين طرفسة عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال

قالت والفرحة تغمرها مما تسمع :

خذنى معك .. إلى راحلة إليكم

قلت وأنا أردد بيتين لشاعر النيل بين يديها :

إني لطربى الخلال كريمة طرب الغريب بأوبة وتلاق  
ومهمزى ذكرى المروءة والندى بين الشمائل هزة المشعاع  
لقد آن للغريب أن يرى حماه !!

قالت : ويعود إلى ذوى قرباه ، هيا بشر قومك بقدومى .

قلت : والفرحتاه !! إنهم سيكونون جميعاً فى شرف استقبالك وكلهم  
يردد :

دارنسا ترقص مما شفها  
لو أتبع النطق منها نطقت  
من مرور حيث والاهما البشر  
وتجلى قولها : عاش البشر  
ما اجتماع الشمائل فى آفاقها  
غير حب جاء عن وحى الضمير  
انظروننا نقتبس من نوركم  
والحظوننا نجبر العظم الكسر

قالت : ذاك والله على كثير !!

قال رفيقى على الطريق :

هنيئاً لمجتمع تملكين عليه حياته ، وتشرق عليه فمسك من جديد !





# فهرس الكتاب

الصفحة	الموضوع
٥	السؤال المحير .....
١١	في ذكرى المروءة .....
١٧	إليها .....
	الرسالة الأولى :
	كتاب الأدب والمروءة للحكيم صالح بن جناح اللخمي
١٩	الدمشقي .....
	الرسالة الثانية :
٥٣	ذكر الحث على إقامة المروءات لابن حبان البستي .....
	الرسالة الثالثة :
	معنى المروءة وما يتصل بها لأبي الحسن علي بن محمد بن
٦٣	حبيب المصري الماوردي .....
	الرسالة الرابعة :
١٠١	الحرص على المروءة — لأبي إسحق الحصري القيرواني .....
	الرسالة الخامسة :
١٠٥	مطلب المروءة — للشيخ رفاعه رافع الطهطاوي .....
	الرسالة السادسة :
١١٥	المروءة ومظاهرها الصادقة — لفضيلة الشيخ محمد
	الخضر حُسَيْن .....
	الرسالة السابعة :
١٢٥	مدرسة المروءة — للدكتور أحمد أمين .....
١٣٥	حوار حول العودة .....

والحمد لله الذي بنعمته تم الصالحات

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٦/٤٧٨٨  
الترقيم: النول ٩ - ٥٤ - ١٣٤٠ - ٩٧٧

دار النشر للطباعة الإسلامية  
١٣٥٥ هـ - ١٩٣٥ م



## في هذا الكتاب

يصحبك المؤلف في رحلة البحث عن « المروءة الغائبة » ويشده الحنين والشوق إلى ذكريات مضت مع المروءة وأهلها حيث تعرف عليها هناك في القرية المصرية ، لقد راح يتابع خطاها ولكنه لم يكذبها ، فعاد كسير النفس بعد أن ترحم على الموق من أهلها ! ولكنه عكف على البحث عنها في «رسائل البلغاء والأدباء» فقد يكون فيها لنفسه سلوى وعزاء .. عاش معها في «رسائل سبع» لابن جناح الدمشقي ، وابن جبان البستي ، وابن حبيب المصري الماوردي ، وأبي إسحق الحضري ، ورفاعة الطهطاوي ، وشيخنا الخضر حسين ليصوغ من رسائلهم هذه برنامجا يتمثل في «كمال الإنسانية» وإذا هو يلتقي مع الدكتور أحمد أمين في «فيض الخاطر» ليؤكد أن المروءة مازالت تحيا ، وأن الدكتور «طه حسين» طلب إليه أن يضع منهجا لمدرسة المروءة بحيث تخرج رجالا يرتفعون عن الصغائر كلها أشد الارتفاع ، ويتزهون عن النقائص كلها أعظم التزه حتى ينمحي من مصر كل ماتشكرو منه من صداقة تستغل الصديق ، وينمحي من الوجود كل رئيس يتخذ المر لإرضاء شهوته ، ويستطيل على الناس بجبروته وسطوا

ويحمل المؤلف هذى «الرسائل السبع» إليها لعلها من أجل أبنائنا وبناتنا ، وها هوذا يبشر بقدمها بعد حواراً حول العودة ، فهيا للقائنا !! وهنيئا لكم بعود

Bibliotheca Alexandrina



0436326



To: [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)